حِصَارُ طُرُوَادَة

من الإلياذة

من الإلياذة لهوميروس

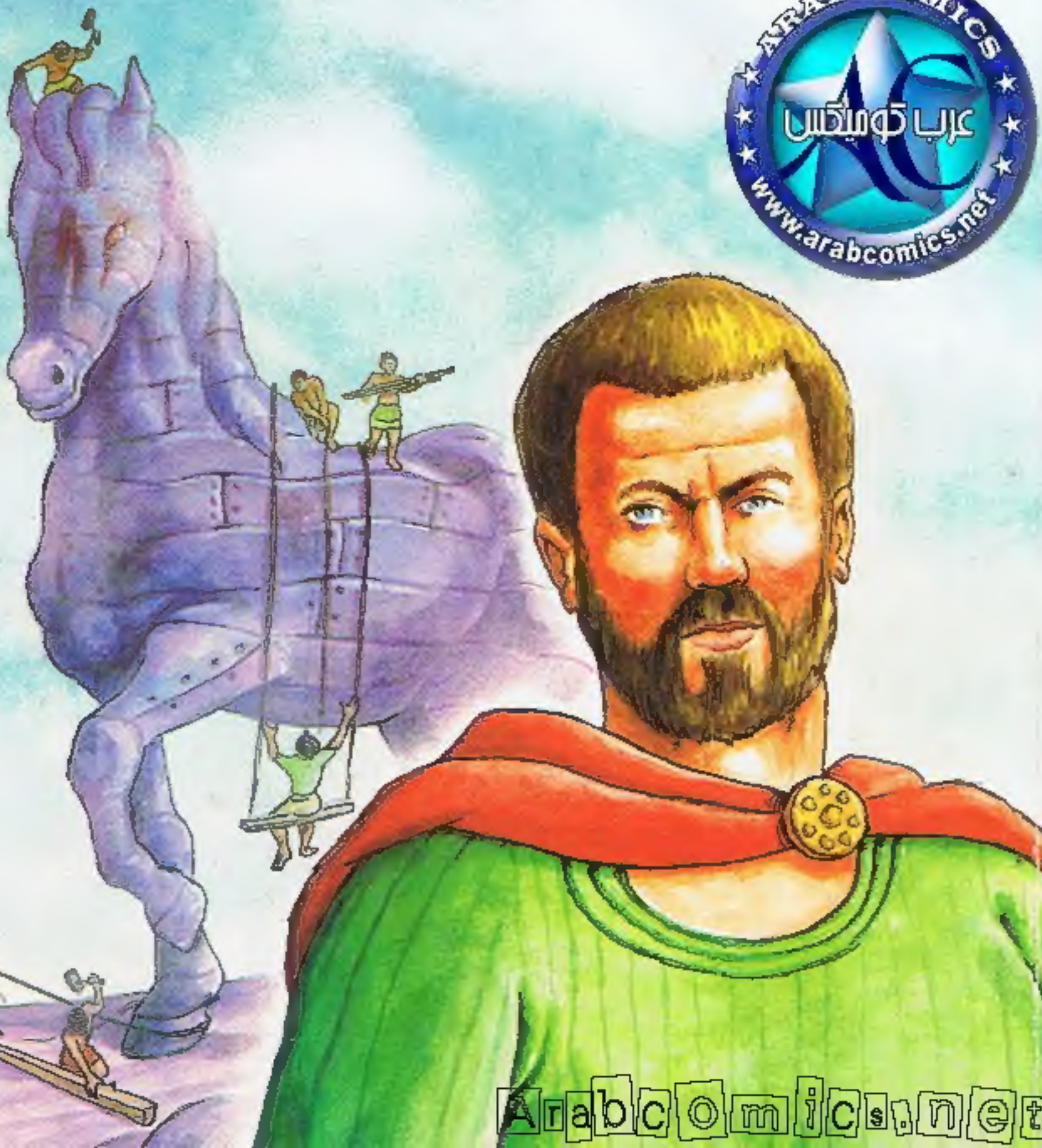

ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net
Arabcomics.net

رئيس التحرير : وجدي رزق غالي

© الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان ١٩٩٢

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة ، مصر

جميع الحقوق محفوظة : لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب ، أو تخزينه أو تسجيله بأية وسيلة ، أو تصويره دون موافقة خطية من الناشر .

الطبعة الأولى ١٩٩٢

رقم الإيداع : ٩٦٧٠ / ١٩٩١

الترقيم الدولي : ISBN ٩٧٧ - ١٦ - ٠٠٧٠ - ٢

طبع في دار نوبار للطباعة

من الإلياذة

حصار طروادة

من الإلياذة لهوميروس

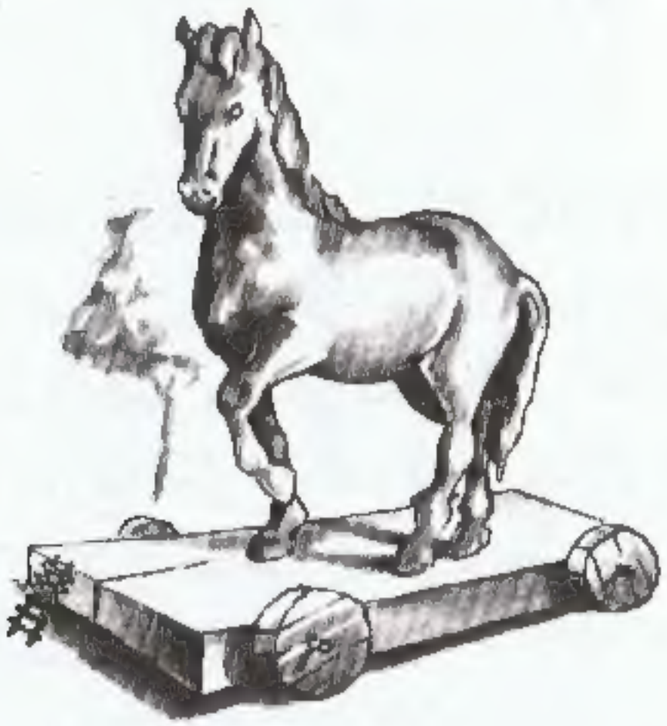

كتبها : أمين سلامة

دققها وحررها : الدكتور علي عبد المنعم

راجعها : الدكتور أحمد عتمان

رسوم : جوزيف حكيم جرجس

مكتبة لبنان

الفصل الأول

اِخْتِطافُ هيليني

كانَتْ مَدينَةُ إسْبَرْطَة – إحْدَى مُدُنِ الإغْريقِ – تَعيشُ هادِئَةً وادِعَةً آمِنَةً ، يَجْلِسُ عَلى عَرْشِها مَلِكٌ أوتِيَ بَسْطَةً في الجِسْمِ وَالحِكْمَةِ وَالعِلْمِ ، يُدْعَى تِنْداريُوس . وَكانَ يُقيمُ العَدْلَ بَيْنَ أفْرادِ قَوْمِهِ ، وَيَرْفَعُ الجَوْرَ عَنْ أبْناءِ شَعْبِهِ . وَشاءَتِ الأقْدارُ أنْ تَهَبَهُ أطْفالاً أرْبَعَةً : وَلَدَيْن أسْماهُما كاسْتُور وَ بوليديوكيس ، وَبِنْتَيْن أسْماهُما كلوتْمنسترا وَ هيليني .

نَشَأَ الأطْفالُ الأرْبَعَةُ في قَصْرِ أبيهِمِ المَلِكِ ، يَنْعَمونَ بِما يُغْدِقُهُ الوالِدانِ عَلَيْهِمْ مِنْ حَنانٍ ، وَما يَحوطانِهِمْ بِهِ مِنْ رِعايَةٍ ؛ فَتَنْمو أجْسادُهُمْ ، وَتَنْضُجُ عُقولُهُمْ ، وَتَتَفَتَّحُ كَما تَتَفَتَّحُ الزُّهورُ اليانِعَةُ في رِعايَةِ بُسْتانِيٍّ ماهِرٍ .

وما إنْ بَلَغَتِ البِنْتانِ سِنَّ الشَّبابِ حَتّى تَوافَدَ الأمَراءُ الرّاغِبونَ في

الزَّواجِ ، يَخْطِبونَ وُدَّهُما ، وَيَتَمَنّى كُلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ أنْ يَحْظى بِواحِدَةٍ مِنْهُما . وَقَدْ حالَفَ الحَظُّ أغامِمْنون ابْنَ مَلِكِ موكيناي فَفازَ بِكلوتْمنسترا ، وتَزَوَجَّها . أمّا هيليني فَظَلَّتْ تَتَمَنَّعُ عَلى الرّاغِبينَ ، وَتُدِلُّ عَلَيْهِمْ بِجَمالِها وَجَلالِها ؛ فَقَدْ كانَتْ آيَةَ عَصْرِها، وَفِتْنَةَ دَهْرِها جَمالاً وَدَلالاً . وَإذا تَمَنُّعُها وَدَلالُها يَزيدُ الأمَراءَ إصْراراً عَلى التَّقَرُّبِ مِنْها ، وَيَزيدُ رَغْبَتَهُمْ في الزَّواجِ بِها اشْتِعالاً ، حَتّى إنَّ أحَدَهُمْ تَسْتَبِدُّ بِهِ هَذِهِ الرَّغْبَةُ ، فَيُقْسِمُ أنْ يَقْتُلَها وَيَقْتُلَ مَنْ يَتَزَوَّجُها لَوْ كانَتْ مِنْ نَصيبِ غَيْرِهِ . وَلَكِنَّ أباها المَلِكَ ، وَقَدْ راعَهُ ما يَشْهَدُ مِنْ رَغْبَةِ الأمَراءِ ، وَمِنْ إلْحاحِهِمْ في الطَّلَبِ ، خَشِيَ أنْ يَحْدُثَ بَيْنَهُمْ ما لا تُحْمَدُ عُقْباهُ ، فَآثَرَ أنْ يَحْسِمَ الأمْرَ بِطَريقَةٍ ذَكِيَّةٍ لَبِقَةٍ . لَقَدِ اقْتَرَحَ عَلى الأمَراءِ أنْ يَدَعوا الأمْرَ لهيليني ، تَخْتارُ شَريكَ حَياتِها ، وَرَفيقَ دَرْبِها ، عَلى أنْ يَتَعاهَدوا عَلى الإذْعانِ لِرَأيِها ، وَاحْتِرامِ قَرارِها ، وَالوُقوفِ صَفًّا واحِداً إلى جانِبِ مَنْ تَخْتارُهُ مِنْ بَيْنِهِمْ زَوْجاً ، وَمُساعَدَتِهِ بِكُلِّ قُوَّتِهِمْ عَلى الاحْتِفاظِ بِها . وَاسْتَجابَ الأمَراءُ لِمُقْتَرَحِهِ ، وَنَزَلوا عِنْدَ رَأيِهِ ؛ فَقَدْ رَأَوْا فيهِ مَخْرَجاً مِنَ الضّيقِ ، وَمَنْقَذاً مِنَ التَّطاحُنِ وَالهَلاكِ ، وَاسْتِدامَةً لِهُدوءِ وَطَنِهِمْ وَرَخائِهِ .

وما إنْ أخَذَ المَلِكُ عَلى الأمَراءِ العَهْدَ وَالميثاقَ حَتّى فَوَّضَ الأمْرَ

لابْنَتِهِ هيليني ، فَوَقَعَ اختيارُها عَلى مينيلاوس شَقيق أغامِمْنون وَرَضِيَتْهُ زَوْجاً لَها . وَاحترَمَ الأمَراءُ رَغْبَتَها ، وَاسْتَوْثَقَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ أنْ يكونوا عِنْدَ عَهْدِهِمِ الَّذي قَطَعوهُ ، وَألا يَنْقُضوا الميثاقَ الذي أخَذوهُ ، وَأنْ يَبْذُلوا ما اسْتَطاعوا مِنْ جَهْدٍ لِلْوَفاءِ بِهِ .

في ذَلِكَ الحينِ كانَتِ الشَّيْخوخَةُ قَدْ أخَذَتْ تَزْحَفُ عَلى المَلِكِ تِنْدارْيوس – والِدِ هيليني – بِمَتاعِبِها وَمُشْكِلاتِها وَذِكْرَياتِها ؛ فَآثَرَ أنْ يَتَخَفَّفَ مِنْ أعْباءِ المُلْكِ ، وَيُلْقِيَ بِها عَلى كاهِلِ مَنْ يَسْتَطيعُ النُّهوضَ بِحِمْلِها ، وَالوَفاءَ بِتَبِعاتِها ، وَيُحْسِنُ تَدْبيرَ شُئونِ المُلْكِ ، وَيُجيدُ تَصْريفَ أمورِهِ ، وَيَسوسُ الرَّعِيَّةَ خَيْرَ سِياسَةٍ ، وَيَقودُها أفْضَلَ قِيادَةٍ . فَلَمْ يَجِدْ خَيْراً مِنْ صِهْرِهِ مينيلاوس زَوْجِ هيليني ، فَتَنازَلَ لَهُ عَنِ العَرْشِ . وَمُنْذُ ذَلِكَ الوَقْتِ أصْبَحَ مينيلاوس مَلِكاً لإسْبَرْطَة .

وَعَلى بُعْدٍ بَعيدٍ مِنَ إسْبَرْطَة ، عَبْرَ البَحْرِ الإيجِيِّ ، كانَتْ تَقَعُ مَدينَةُ طُرْوادَة ، وَهِيَ مَدينَةٌ ذائِعَةُ الصِّيتِ ، واسِعَةُ الشُّهْرَةِ ، يَتَرَبَّعُ عَلى عَرْشِها المَلِكُ بِرْياموس . وَهُوَ مَلِكٌ عَظيمٌ ، عَريضُ الثَّراءِ ، شَديدُ البَأسِ ، بالِغُ القُوَّةِ وَالنُّفوذِ ، أنْجَبَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ هيكابي وَلَداً هُوَ هِكْتور . وَلَمّا حَمَلَتْ لِلْمَرَّةِ الثّانِيَةِ رَأتْ حُلْماً مُزْعِجاً ، سَبَّبَ لَها وَلِزَوْجِها المَلِكِ كَثيراً مِنَ الفَزَعِ وَالهَلَعِ . فَقَدْ رَأتْ أنَّها أنْجَبَتْ شُعْلَةً مُتَوَهِّجَةً مِنَ النّارِ ، سَرْعانَ ما انْتَشَرَتْ في أرْجاءِ طُرْوادَة ؛

فَأتَتْ عَلى الأخْضَرِ وَاليابِسِ ، وَتَرَكَتْها رَماداً تَذْروهُ الرِّياحُ .

خَشِيَ المَلِكُ بِرياموس عَلى نَفْسِهِ وَعَلى عَرْشِهِ ، كَما خَشِيَ عَلى زَوْجَتِهِ وَ وَطَنِهِ ، وَنَفَرَتْ نَفْسُهُ مِنْ هَذا الجَنينِ أشَدَّ النُّفورِ فَلَمّا وَضَعَتْهُ هيكابي تَقاذَفَتْهُمُ الأفْكارُ ، وَتَناوَشَتْهُمُ الخَواطِرُ : ماذا يَصْنَعونَ بِهِ ؟ وَكَيْفَ يَتَخَلَّصونَ مِنْهُ ؟ حِفاظاً عَلى أنْفُسِهِمْ مِنْ شَرِّهِ ، وَعَلى طُروادة مِنْ ضُرِّهِ . وَكانَتْ فِكْرَةُ قَتْلِهِ أشَدَّ الأفْكارِ سَيْطَرَةً عَلَيْهِمْ ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَجِدوا الشَّجاعَةَ الكافِيَةَ لِتَنْفيذِها ، فَفَكَّرَ المَلِكُ في وَسيلَةٍ أخْرى يُنْقِذُ بِها نَفْسَهُ وَزَوْجَهُ وَعَرْشَهُ وَبَلَدَهُ ، فَحَمَلَ الطِّفْلَ بَيْنَ ذِراعَيْهِ ، وَذَهَبَ بِهِ إلى خارِجِ المَدينَةِ ، وَهُناكَ فَوْقَ قِمَّةِ جَبَلٍ إيدا تَرَكَ حِمْلَهُ على الأرْضِ ؛ أمَلاً في أنْ تَفْتَرِسَهُ الوُحوشُ الضّارِيَةُ ، أوْ تَلْتَقِمَهُ الطُّيورُ الجارِحَةُ ، أوْ يَهْلِكَ مِنَ الجوعِ وَالعَطَشِ . وَلَكِنَّ ظُنونَهُ ذَهَبَتْ بَدَداً ، فَقَدْ عَثَرَ عَلَيْهِ أحَدُ الرُّعاةِ ، فَالْتَقَطَهُ لِيَكونَ لَهُ وَلَداً ، وَأحاطَهُ بِرِعايَتِهِ وَعِنايَتِهِ بَيْنَ أبْنائِهِ ، وَسَمّاهُ باريس .

عاشَ باريس في كَنَفِ هَذا الرّاعي حَياةَ الرُّعاةِ البَسيطَةَ ، يَحْتَرِفُ حِرْفَتَهُمْ ، وَيَنْطَلِقُ بَيْنَ أحْضانِ الطَّبيعَةِ انْطِلاقَهُمْ ، لا يَعْرِفُ إلّا أنَّهُ واحِدٌ مِنْهُمْ ، وَأنَّهُ ابْنٌ لِذَلِكَ الرّاعي البَسيطِ ، وَلا يَدْري أنَّهُ

أميرٌ جليلٌ ، وَابْنٌ لِلْمَلِكِ بِرْياموس العَظيمِ ، وَكَذَلِكَ مَنْ حَوْلَهُ لا يَدْرونَ عَنْ حَقيقَتِهِ شَيْئًا ! حَتى إذا ما اشْتَدَّ عودُهُ ، وَأَزْهَرَ شَبابُهُ ، وَاسْتَحْصَدَتْ قُوَّتُهُ ، وَقَعَ حادِثٌ كانَ لَهُ أَكْبَرُ الأَثَرِ في تَوْجيهِ حَياتِهِ ، وَتَغْييرِ مَسارِها – فَقَدْ تَزَوَّجَ پيليوس مَلِكُ المورميدونيين ثيتيس إحْدَى رَبّاتِ البَحْرِ . وَأُقيمَ لِهَذا الزَّواجِ حَفْلٌ رائِعٌ باهِرٌ ، شَهِدَهُ الأَرْبابُ جَميعًا ، يَتَقَدَّمُهُمْ زيوس ، رَبُّ الأَرْبابِ وَكَبيرُ الآلِهَةِ ، وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ هيرا ، وَكَذَلِكَ أثينة – رَبَّةُ الحِكْمَةِ ، وأفروديتي رَبَّةُ الجَمالِ وَالحُبِّ . كُلُّهُمْ بارَكَ هَذا الزَّواجَ ، وَسَعِدَ بِهِ ، غَيْرَ رَبَّةٍ واحِدَةٍ لَمْ تُدْعَ إلى الحَفْلِ ، هِيَ رَبَّةُ الشِّقاقِ إيريس ؛ خَشْيَةَ أَنْ تُفْسِدَ بَهْجَتَهُ ، بِما قَدْ تَبْذُرُهُ مِنْ بُذورِ الخِلافِ ، فَعَزَّ عَلَيْها إهْمالُها ، وَأَوْغَرَ صَدْرَها عَدَمُ الاهْتِمامِ بِها ، فَأَضْمَرَتْ في نَفْسِها شَرًّا ، وَعَقَدَتِ العَزْمَ عَلى إفْسادِ مُتْعَتِهِمْ بِالحَفْلِ وَهِيَ غائِبَةٌ عَنْهُ ، فَلَيْسَ ضَروريا لِكَيْ تَنْفُثَ سُمومَها أَنْ تَكونَ بَيْنَ المَدْعُوّينَ بِشَخْصِها ، وَلَكِنَّها ستَكونُ حاضِرَةً بَيْنَهُمْ بِحِقْدِها . وَلِذَلِكَ أَلْقَتْ عَلى المائِدَةِ الَّتي يَجْلِسُ إلَيْها المَدْعُوّونَ تُفّاحَةً ذَهَبِيَّةً ، كُتِبَتْ عَلَيْها عِبارَةٌ مُثيرَةٌ مُغْرِيَةٌ بِالاخْتِلافِ وَالنِّزاعِ « إلى أَجْمَلِ النِّساءِ طُرًّا » ، وَهِيَ تَعْرِفُ ما يُمْكِنُ أَنْ تُشْعِلَهُ هَذِهِ الْجُمْلَةُ في نُفوسِ الرَّبّاتِ مِنْ غَيْرَةٍ وَشِقاقٍ ، فَكُلُّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ تَظُنُّ نَفْسَها أَجْمَلَ النِّساءِ ، سَواءٌ كانَ

الجَمالُ جَمالَ البَشَرَةِ وَالجَسَدِ ، أَوْ جَمالَ العَقْلِ وَالحِكْمَةِ ، أَوْ جَمالَ السُّمُوِّ وَالرِّفْعَةِ ، وَما واحِدَةٌ مِنْهُنَّ بِراغِبَةٍ في أَنْ تَتَنازَلَ لِلأُخْرى عَنِ التُّفّاحَةِ ؛ إذْ كُلُّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ تَوَدُّ أَنْ تَحْظى بِهَذا اللَّقَبِ الجَميلِ المُثيرِ .

وَحَدَثَ ما تَوَقَّعَتْهُ وَدَبَّرَتْ لَهُ رَبَّةُ الشِّقاقِ مِنْ نِزاعٍ وَاخْتِلافٍ بَيْنَ الرَّبّاتِ ، كادَ يَتَطَوَّرُ إلى شِجارٍ وَعِراكٍ ؛ وَلَكِنَّ زيوس كَبيرَ الآلِهَةِ أَرادَ أَنْ يَحْسِمَ النِّزاعَ ، فَأَصْدَرَ أَمْرَهُ بِأَنْ يَحْكُمَ في هَذا النِّزاعِ باريس راعي جَبَلِ إيدا . وَأَرْسَلَ إلَيْهِ التُّفّاحَةَ مَعَ إيريس ، وَأَمَرَها بِأَنْ تُخْبِرَهُ بِأَنْ يُقَدِّمَ التُّفّاحَةَ لِلرَّبَّةِ الَّتي يَراها تَفوقُ الأُخْرَياتِ جَمالاً في نَظَرِهِ .

بَيْنَما كانَ پاريس ، راعي جَبَلِ إيدا ، يَرْعَى أَغْنامَهُ عَصْرَ يَوْمٍ مِنَ الأَيّامِ ، إذا بِمُفاجَأَةٍ تُذْهِلُهُ ، وَتَكادُ تُفْقِدُهُ وَعْيَهُ ؛ فَقَدْ شاهَدَ الرَّبّاتِ الثَّلاثَ يَقِفْنَ أَمامَهُ ، وَمَعَهُنَّ إيريس تُنَبِّئُهُ بِما وَقَعَ ، وَتُبَلِّغُهُ رِسالَةَ زيوس . وَعِنْدَئِذٍ تَكَلَّمَتْ هيرا فَقالَتْ لَهُ : « أَيْ پاريس ، إنَّكَ تَجْهَلُ حَقيقَةَ أَمْرِكَ . إنَّكَ أَميرٌ عَظيمٌ ، وَلَسْتَ الرّاعِيَ الخامِلَ الحَقيرَ . أَنْتَ ابْنُ مَلِكِ طُرْوادَةَ پرياموس ، وَلَسَوْفَ أَجْعَلُكَ – إذا أَعْطَيْتَني التُّفاحَةَ – أَقْوَى المُلوكِ بَأْسًا ، وَأَوْسَعَهُمْ ثَراءً ، وَأَبْسَطَهُمْ

جاهاً وَنُفوذاً ؛ فَلا يَكونُ في الدُّنْيا كُلِّها مَنْ يُضارِعُكَ .»

وَهَزَّهُ قَوْلُها ، فَقَدْ كَشَفَتْ لَهُ عَنْ حَقيقَتِهِ ، فَطالَما أَحَسَّ إِحْساساً غامِضاً مُبْهَماً ، لَمْ يَسْتَطِعْ تَحَقُّقَهُ وَلا تَصَوُّرَهُ : أَنَّهُ لَمْ يُخْلَقْ لِهَذِهِ الحَياةِ التّافِهَةِ الخامِلَةِ ، حَتى جاءَتْ هَذِهِ الرَّبَّةُ فَأَماطَتْ لَهُ اللِّثامَ عَنْ حَقيقَةِ أَمْرِهِ . إِنَّها – إِذاً – جَديرَةٌ بِهَذِهِ التُّفّاحَةِ ! وَهَمَّ أَنْ يَمْنَحَها التُّفاحَةَ ، لَكِنَّ خاطِراً هَتَفَ بِهِ أَنْ يَتَرَيَّثَ في الأَمْرِ ، وَأَنْ يَتَلَبَّثَ حَتى يَسْتَمِعَ إِلى قَوْلِ أَثينة وأفروديتي .

وَ وَقَفَتْ أَثينة في كِبْرِياءَ وَجَلالٍ تَقولُ لَهُ : « أَيْ پاريس ، إِذا أَعْطَيْتَني التُّفّاحَةَ فَسَأُعَلِّمُكَ كَيْفَ تَكونُ أَرْجَحَ النّاسِ عَقْلاً ، وَأَحْسَنَهُمْ تَدْبيراً ، وَأَرْزَنَهُمْ حِلْماً ، وَأَكْثَرَهُمْ حِكْمَةً . سَأَجْعَلُ مِنْكَ رَجُلاً عَظيماً ، يَهابُهُ النّاسُ وَلا يَعْصَوْنَ لَهُ أَمْراً ، لا مِنْ خَوْفٍ وَرَهْبَةٍ ، بَلْ عَنْ حُبٍّ وَمَوَدَّةٍ .»

وَكادَ پاريس يُعْطيها التُّفّاحَةَ ، فَقَدْ رَغِبَ فيما عِنْدَها مِنَ الحِكْمَةِ وَالرُّشْدِ ، يَسوسُ بِهِما النّاسَ ؛ وَفيما وَعَدَتْهُ بِهِ مِنْ حُبِّ النّاسِ لَهُ ، يَعْطِفُ قُلوبَهُمْ نَحْوَهُ . وَلَكِنَّهُ فوجِئَ بأفروديتي ، رَبَّةِ الجَمالِ وَالحُبِّ ، تَقِفُ في دَلالٍ ، وَتَتَقَدَّمُ مِنْهُ في خُيَلاءٍ ، وَتَرْنو إِلَيْهِ بِابْتِسامَةٍ رائِعَةٍ ، لَمْ يَسْتَطِعْ لِسِحْرِها مُقاوَمَةً ، وَلا عَلَيْهِ امْتِناعاً ،

وَتَقولُ لَهُ بِصَوْتٍ نَدِيٍّ رَخيمٍ ، كَأَنَّما يُعْلِنُ بِهِ الحُبُّ عَنْ نَفْسِهِ : « أيْ باريس ، أعْطِني التُّفاحَةَ ، وَسَوْفَ أهَبُكَ أجْمَلَ امْرَأةٍ في العالَمِ ؛ لِتُصْبِحَ زَوْجَةً لَكَ !» وَلَمْ يَتَمالَكْ باريس نَفْسَهُ ، وَلَمْ يُخامِرْهُ التَّرَدُّدُ لَحْظَةً ، بَلِ انْدَفَعَ مُسْرِعًا ، وَأعْطَى أفروديتي رَبَّةَ الجَمالِ وَالحُبِّ التُّفّاحَةَ .

* * *

أصْبَحَ باريس ضائِقَ الصَّدْرِ بِهَذِهِ الحَياةِ التّافِهَةِ الخامِلَةِ – حَياةِ الرَّعْيِ وَالرُّعاةِ – هَذِهِ الحَياةُ الَّتي تَحْصُرُهُ في أنْ يَغْدُوَ بِقَطيعِ أغْنامِهِ إلى المَرْعَى ، وَيَروحَ بِهِ إلى المَأوَى ، وَلا هَمَّ لَهُ فيما بَيْنَ ذَلِكَ إلّا الجُلوسَ مُنْصِتًا إلى ثُغائِها ، أوْ شارِدًا في مَجالي الطَّبيعَةِ ، أوْ خامِدًا خامِلاً ، لا فِكْرَ في ذِهْنِهِ ، وَلا نَشاطَ في جِسْمِهِ .

ضاقَتْ نَفْسُهُ بِهَذِهِ الحَياةِ ، وَخاصَّةً بَعْدَ أنْ عَلِمَ حَقيقَةَ أمْرِهِ ، وَأدْرَكَ أنَّهُ لَمْ يُخْلَقْ لِهَذِهِ الحَياةِ البائِسَةِ ؛ وَإنَّما خُلِقَ لِحَياةٍ ناشِطَةٍ ساعِيَةٍ ؛ فَاعْتَزَمَ التَّخَلّي عَنْ حَياةِ الرَّعْيِ ، وَشَخَصَ إلى طَرْوادَةَ ؛ لِيَتَعَرَّفَ عَلى أبيهِ وَأمِّهِ ، وَلِيَحْيا حَياةَ الأمَراءِ في قُصورِ المُلوكِ . وَما إنْ طالَعَتْهُ طَرْوادَةُ حَتّى أحَسَّ نَسائِمَ الحَياةِ الجَديدَةِ تُصافِحُ وَجْهَهُ ، وَدِماءَها تَجْري في عُروقِهِ ، وَفَوْرَةً مِنَ النَّشاطِ تَدِبُّ في جَسَدِهِ ؛

فَاعْتَزَمَ السَّيْرَ كَيْ يَدْخُلَ المَدينَةَ مِنْ أوْسَعِ أبْوابِها ، وَأنْ يُقَدِّمَ نَفْسَهُ لِوالِدَيْهِ . وَما إنْ ألْقى نَفْسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِما ، وَأماطَ اللِّثامَ عَنْ شَخْصِهِ ، حَتّى بَلَغَ مِنْهُما السُّرورُ كُلَّ مَبْلَغٍ ، وَانْزاحَتْ عَنْ قَلْبَيْهِما كُلُّ آثارِ الخَوْفِ وَالضّيقِ ، وَانْقَشَعَتْ عَنْ نَفْسَيْهِما سُحُبُ الكَآبَةِ الَّتي كانَتْ تُخَيِّمُ عَلَيْهِما مُنْذُ أنْ تَرَكَهُ أبوهُ فَوْقَ قِمَّةِ الجَبَلِ . فَقَدْ كانا يَظُنّانِ أنَّ ابْنَهُما قَدْ تَخَطَّفَتْهُ الطَّيْرُ أوْ نَهَشَتْهُ السِّباعُ ، وَلَكِنْ ها هُوَ ذا شاخِصٌ أمامَهُما بِلَحْمِهِ وَعَظْمِهِ . لَقَدْ غَمَرَتْهُما الفَرْحَةُ ، وَعَمَّتْ أرْجاءَ المَدينَةِ ، وَسادَها جَوٌّ مُفْعَمٌ بِالحُبورِ وَالغِبْطَةِ ، لَمْ تَذُقْهُ مُنْذُ سَنَواتٍ عَديدَةٍ .

كانَتِ الرَّغْبَةُ الَّتي أثارَتْها أفروديتي – رَبَّةُ الجَمالِ وَالحُبِّ – في نَفْسِ باريس لا تَزالُ مُشْتَعِلَةً ، وَالوَعْدُ الَّذي وَعَدَتْهُ بِهِ لا يَزالُ ماثِلاً أمامَ ناظِرَيْهِ . وَعَلَيْهِ أنْ يَسْعى لِتَحْقيقِ رَغْبَتِهِ ، وَيَبْذُلَ جُهْدَهُ لِلْحُصولِ عَلى ما وُعِدَ بِهِ ، وَيَحْشِدَ كُلَّ إمْكاناتِ السُّلْطَةِ في سَبيلِ ذَلِكَ . وَمِنْ ثَمَّ راحَ يَعْمَلُ هُوَ وَإخْوَتُهُ في جَمْعِ الأخْشابِ لِبِناءِ سَفينَةٍ يَجوبُ بِها البِحارَ ، بَحْثًا عَنْ أجْمَلِ امْرَأةٍ في العالَمِ ، تِلْكَ الَّتي وَعَدَتْهُ بِها أفروديتي ، وَما كانَ لِرَبَّةِ الجَمالِ وَالحُبِّ أنْ تَخيسَ في وَعْدِها ، أوْ تَحْنَثَ في عَهْدِها ! لَكِنَّ أخْتَهُ كاسندرا حَذَّرَتْهُ مِمّا قَدْ يَنْجُمُ مِنْ عَواقِبَ وَخيمَةٍ عَنْ فِعْلِهِ ، وَتَوَسَّلَتْ إلَيْهِ أنْ يَكُفَّ عَنْ

البَحْثِ ، وَيَصْرِفَ جُهْدَهُ إلى ما يُفيدُ نَفْسَهُ وَ وَطَنَهُ . وَلكِنَّهُ – وَقَدْ سَيْطَرَ هَذا الأَمَلُ عَلى نَفْسِهِ – سَخِرَ مِنْ تَحذيرِها ، وَتَهكَّمَ عَلى ضَعْفِها ، وَآثَرَ أَنْ يَمْضِيَ في طَريقِهِ .

وَتَقاذَفَتْهُ البِحارُ حَتى أَلْقَتْ بِهِ قَريباً مِنْ شَواطِئِ إسْبَرْطَة . وَلَمّا عَلِمَ مينيلاوس مَلِكُها بِقُدومِهِ خَفَّ مُسْرِعاً إلى الشّاطِئِ لاِسْتِقْبالِهِ وَالتَّرْحيبِ بِهِ ، وَاقْتَرَحَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْزِلَ عِنْدَهُ ضَيْفاً عَزيزاً . وَهُناكَ لَقِيَ پاريس هيليني زَوْجَةَ مينيلاوس . وَما إنْ وَقَعَ بَصَرُهُ عَلَيْها حَتّى بَهَرَهُ جَمالُها ، وَسَحَرَتْهُ فِتْنَتُها ، وَاسْتَحْوَذَ حُبُّها عَلى فُؤادِهِ ، فَما عادَ يَسْتَطيعُ عَنْها تَحَوُّلاً ، وَلا يَجِدُ عَنْها مُنْصَرَفاً – لَقَدْ أَصْبَحَ مَشْدوداً إلَيْها بِقُوَّةٍ خَفِيَّةٍ ، لا يَدْري كُنْهَها ، وَلا يَسْتَطيعُ مُقاوَمَتَها . لَقَدْ كانَتْ آيَةً في الجَمالِ ، وَفِتْنَةً لِلنّاظِرينَ . إنَّها هِيَ الَّتي وَعَدَتْهُ بِها أفروديتي – رَبَّةُ الجَمالِ وَالحُبِّ – فَما يَظُنُّ أَنَّ هُناكَ عَلى وَجْهِ الأَرْضِ مَنْ هِيَ أَرْوَعُ مِنْها جَمالاً ، أَوْ أَشَدُّ سِحْراً وَدَلالاً ! فَقَرَّرَ أَنْ يَعودَ بِها إلى طُرْوادَة مَهْما كانَتِ الصِّعابُ الَّتي تَقِفُ في سَبيلِهِ ، وَمَهْما كانَتِ العَقَباتُ الَّتي تَحولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَها . إنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَقْهَرَ الصِّعابَ ، وَيَتَخَطّى العَقَباتِ ، وَيُحَطِّمَ الحَواجِزَ وَالسُّدودَ في سَبيلِ تَحْقيقِ هَذِهِ الرَّغْبَةِ .

وَانْتَهَزَ فُرْصَةَ خُروجِ المَلِكِ مينيلاوس في رِحْلَةٍ بَحْرِيَّةٍ إلى جَزيرَةِ

كريت ، وَراحَ يَتَقَرَّبُ مِنْ هيليني ، وَيُطْري جَمالَها ، وَيُفْصِحُ عَنْ حُبِّهِ لَها . وَما زالَ بِها يَتَمَلَّقُ عَواطِفَها ، وَيُغْريها بِالذَّهابِ مَعَهُ ، حَتّى اسْتَجابَتْ لَهُ ، وَنَقَلَتْ كُلَّ ما اسْتَطاعَتْ مِنْ كُنوزِ قَصْرِ زَوْجِها المَلِكِ مينيلاوس إلى سُفُنِ الطُّرْوادِيِّين . ثُمَّ أَبْحَرَتِ السُّفُنُ تَتَهادَى بِهيليني وَما حَمَلَتْ مِنْ تُحَفٍ وَكُنوزٍ ، وپاريس في سَفينَتِهِ وَإلى جانِبِهِ مَنْ كانَ يَحْلُمُ بِها ، يَكادُ يَطيرُ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ . وَبَلَغَتْ بِهِ السَّعادَةُ مَبْلَغاً لا يُحيطُ بِهِ الوَصْفُ ، وَتَعْجِزُ الكَلِماتُ عَنْ تَصْويرِهِ ؛ فَقَدْ ظَفِرَ بِمَنْ كانَ يُريدُ ، ظَفِرَ بِما وَعَدَتْهُ بِهِ أفروديتي – رَبَّةُ الجَمالِ وَالحُبِّ – فَلا يَعْنيهِ ماذا تَكونُ العاقِبَةُ ، وَلا يَعْنيهِ ما قَدْ يَصْنَعُهُ المَلِكُ مينيلاوس . لَقَدْ حَجَبَتِ الغَشاوَةُ بَصَرَهُ وَبَصيرَتَهُ عَنِ التَّفكيرِ في العاقِبَةِ .

الفصل الثاني

الوَفاءُ بِالعَهْدِ

لَمْ تَنْسَ الرَّبّتانِ ، هيرا وأثينة صَنيعَ پاريس فيهما ، وَكَيْفَ ضَنَّ عَلَيْهِما بِالتُّفّاحَةِ الذَّهَبِيَّةِ ، وَآثَرَ عَلَيْهِما الرَّبَّةَ أفروديتي ؛ لِذَلِكَ كانَتا تَتَحَيَّنانِ الفُرْصَةَ لِتَمْكُرا بِهِ أشَدَّ المَكْرِ. فَما إنْ فَعَلَ فَعْلَتَهُ حَتى أرْسَلَتا إلى مينيلاوس في كريت رَسولَ الآلِهَةِ إيريس لِتُخْبِرَهُ بِالواقِعَةِ ، وَلِتُثيرَ غَيْظَهُ وَحَفيظَتَهُ عَلى هَذا الَّذي اسْتَضافَهُ في قَصْرِهِ ، فَلَمْ يَرْعَ لَهُ حَقًّا وَلا ذِمَّةً ، وَإنَّما خانَهُ بِإغْراءِ زَوْجَتِهِ ، بَالهَرَبِ مَعَهُ إلى طُرْوادَة . وَما كانَ مينيلاوس في حاجَةٍ إلى مَنْ يُثيرُهُ ، فَهُوَ يَحُبُّ هيليني حُبًّا جَمًّا ، وَمِنْ ثَمَّ وَقَعَ الخَبَرُ عَلَيْهِ وُقوعَ الصّاعِقَة ، وَضاقَتْ عَلَيْهِ الأرْضُ بِما رَحُبَتْ ، وَراحَتْ كُلُّ ذَرَّةٍ في كِيانِهِ تُطالِبُهُ بِالانْتِقامِ وَالثَّأرِ لِكَرامَتِهِ ، وَالذَّوْدِ عَنْ شَرَفِهِ . وَلَكِنْ كَيْفَ ؟ إنَّ طُرْوادَة بَعيدَةٌ ، وَتَحْتاجُ مَجْهودًا جَبّارًا كَيْ يَصِلَ إلَيْها ، كَما أنَّ مَلِكَها پرياموس رَجُلٌ قَوِيُّ الشَّكيمَةِ ، شَديدُ البَأسِ ، واسِعُ النُّفوذِ ،

لا يُؤْتى مِنْ ضَعْفٍ ، وَلا يُغْلَبُ مِنْ قِلَّةِ العَدَدِ وَالْعُدَّةِ .. فَلْيَذْهَبْ إلى أخيهِ أغامِمْنون – ملك موكيناي – يَلْتَمِسُ عِنْدَهُ الرَّأيَ وَالمَشُورَةَ وَالمَعونَةَ.

وَصَلَ مينيلاوس إلى قَصْرِ أخيهِ أغامِمْنون ، فَوَجَدَهُ يَتَحَدَّثُ إلى المَلِكِ العَجوزِ الحَكيم نسطور ، الَّذي كانَ مَلِكًا عَلى پيلوس ، وَكانَ يَعْرِفُ هيليني مَعْرِفَةً جَيِّدَةً ، وَيُدْرِكُ مَدَى تَعَلُّقِ مينيلاوس بِها ، وَيُدْرِكُ ما في هَذا العَمَلِ الَّذي اقْتَرَفَهُ پاريس مِنْ نَذالَةٍ وَخِسَّةٍ ، وَما يُلْحِقُهُ بِمينيلاوس مِنْ ذُلٍّ وَعارٍ . فَقامَ مِنْ فَوْرِهِ يَسْعَى بَيْنَ أمَراءِ إسْبَرْطة الَّذينَ تَعاهَدوا عَلى مُعاوَنَةِ مَنْ تَخْتارُهُ هيليني زَوْجًا لَها عَلى الاحْتِفاظِ بِها ، لِيُذَكِّرَهُمْ بِما تَعاهَدوا عَلَيْهِ ، وَلِيَسْتَنْجِزَهُمْ وَعْدَهُمْ الَّذي قَطَعوهُ عَلى أنْفُسِهِمْ لأبيها . وَأسْعَفَتْهُ في ذَلِكَ الرَّبّتانِ هيرا و أثينة ؛ إذْ أوْغَرَتا صُدورَ الأمَراءِ عَلى پاريس الَّذي انْتَهَكَ حُرْمَةَ وَطَنِهِمْ ، وَداسَ كَرامَتَهُ ، فَقَدْ كانَتا تَمْقُتانِ پاريس أشَدَّ المَقْتِ . وَإذا الأمَراءُ يُلَبّونَ ما طَلَبَ نسطور المَلِكُ العَجوزُ الحَكيمُ ، وَيَهُبّونَ مُسْرِعينَ لِنَجْدَةِ مينيلاوس ، وَيَتَنادَوْنَ لِلاسْتِعْدادِ بِالسُّفُنِ وَالرِّجالِ وَالسِّلاحِ .

وَاحْتَشَدَ الجَيْشُ الإغْريقِيُّ في أوليس ، فَوْقَ شاطِئِ البَحْرِ ،

وَتَجَمَّعَتِ السُّفُنُ ، وَاسْتَعَدَّتْ لِتَمْخُرَ عُبابَ البَحْرِ . وَأَلقَى أعامِمْنون نَظْرَةً عَلى هَذا الجَيْشِ الضَّخْمِ ، الَّذي اخْتارَهُ الأُمَراءُ قائِداً لَهُ ، فَامْتَلأَتْ نَفْسُهُ ثِقَةً في النَّصْرِ ، فَلَنْ يُغْلَبوا اليَوْمَ مِنْ قِلَّةِ عَدَدٍ وَعُدَّةٍ . لَقَدْ خَرَجَ الأُمَراءُ جَميعًا ، لَمْ يَنْكُصْ عَلى عَقِبِهِ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَلَمْ يَحْنَثْ في عَهْدِهِ مِنْهُمْ أَميرٌ ، حَتّى نسطور المَلِكُ العَجوزُ خَرَجَ مَعَهُمْ ، يُنيرُ طَريقَهُمْ بِحِكْمَتِهِ ، وَيُسَدِّدُ خُطاهُمْ بِمَشورَتِهِ . وَكَذَلِكَ خَرَجَ وَلَداهُ الشُّجاعانِ ، وَأَحيليوس ملك المورميدونيين ، الَّذي تُرْوَى عَنْ شَجاعَتِهِ الأَساطيرُ ، وَسارَتْ بِذِكْرِها الرُّكْبانُ ؛ فَهُوَ ابن بيلوس وَ رَبَّةِ البَحْرِ ثيتيس .

وَيُقالُ إِنَّ ثيتيس عَرَفَتْ أَنَّ الأَقْدارَ كَتَبَتْ عَلى ابْنِها أُخيليوس أَنْ يَقْضِيَ نَحْبَهُ في المَعارِكِ ، وَهُوَ في رَيْعانِ الشَّبابِ ، فَأَرادَتْ أَنْ تُحَصِّنَهُ وَتَهَبَهُ البَقاءَ وَالخُلودَ ، فَحَمَلَتْهُ مُنْذُ مَوْلِدِهِ إِلى نَهْرِ ستوكس ، ذَلِكَ النَّهْرُ المُقَدَّسُ في العالَمِ السُّفْلِيِّ العَظيمِ ، وَغَمَسَتْهُ فيهِ ، ما عَدا عَقِبَهُ الأَيْمَنَ الَّذي كانَتْ تُمْسِكُهُ مِنْهُ ، فَلَمْ يَمَسَّهُ الماءُ المُقَدَّسُ ؛ وَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَكُنْ لِسِلاحٍ بَشَرِيٍّ أَنْ يَنْفُذَ فيهِ ، وَلا أَنْ يَنالَ مِنْهُ مَنالاً ، إِلّا إِذا أَصابَهُ في ذَلِكَ الجُزْءِ الصَّغيرِ الدَّقيقِ مِنْ جَسَدِهِ ، الَّذي فاتَ ثيتيس أَنْ تُبَلِّلَهُ بِالماءِ المُقَدَّسِ ، فَكانَ مَصْدَرَ خَطَرٍ عَظيمٍ ، وَسِرَّ مُسْتَطيرٍ عَلَيْهِ . وَصارَ « عَقِبُ أُخيليوس » ،

بِوَصْفِهِ نُقْطَةَ ضَعْفٍ ، مَضْرِبَ الأَمْثالِ .

أَمّا أوديسيوس مَلِكُ إيثاكا فَقَدْ كانَ الأُمَراءُ يَتَوَقَّعونَ تَثاقُلَهُ عَنِ المَجْدِ ؛ فَقَدْ كانَ مُتَزَوِّجًا حَديثًا بِبينيلوبي ، فَما كانَ يُطيقُ لَها فِراقًا ، وَلا عَنْها ابْتِعاداً ، فَقَدِ اسْتَهْواهُ جَمالُها ، وَأَسَرَتْهُ فِتْنَتُها ، وَارْتَكَنَ إِلى حَياةِ الدَّعَةِ في ظِلالِها . وَقَدْ صَحَّ ما تَوَقَّعوهُ ، وَإِذا بِهِ يَحْتالُ حيلَةً – ظَنَّها ماكِرَةً – تُتيحُ لَهُ التَّحَلِّيَ عَنِ المُشارَكَةِ في المَجْدِ ، دونَ أَنْ يَكونَ هُناكَ ما يُشَوِّهُ سُمْعَتَهُ . لَقَدْ تَظاهَرَ بِالجُنونِ ، وَراحَ يَحْرُثُ رِمالَ البَحْرِ بِزَوْجٍ مِنَ الثِّيرانِ ؛ كَيْ يَعْتَقِدَ الأُمَراءُ اخْتِلاطَ عَقْلِهِ ، فَما عادَ يُمَيِّزُ بَيْنَ الأَرْضِ الخِصْبَةِ الَّتي تَصْلُحُ لِلْحَرْثِ ، وَبَيْنَ الرِّمالِ البَحْرِيَّةِ الَّتي يَضيعُ الجُهْدُ فيها هَباءً .

بَيْدَ أَنَّ أَحَدَ الأُمَراءِ الأَذْكِياءِ لَمْ تَنْطَلِ عَلَيْهِ الحيلَةُ ، وَأَرادَ أَنْ يَرُدَّ عَقْلَهُ إِلَيْهِ ، فَعَمَدَ إِلى الطِّفْلِ تيليماخوس وَلَدِ أوديسيوس ، وَضَعَهُ أَمامَ المِحْراثِ ، فَما كانَ مِنْ أوديسيوس إِلّا أَنْ تَوَقَّفَ عَنِ الحَرْثِ ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَمْضِيَ في ادِّعائِهِ الجُنونَ إِلى المَدى الَّذي يَحْرُثُ مَعَهُ ابْنَهُ ، وَيَقْضِيَ عَلَيْهِ بِيَدَيْهِ . وَهُنا عادَ إِلَيْهِ صَوابُهُ ، وَمَضَى يُجَهِّزُ هُوَ وَقَوْمُهُ لِلإِسْهامِ في مَعْرَكَةِ اسْتِعادَةِ هيليني مِنْ طُرْوادَةَ .

وَاكْتَمَلَ الأُسْطولُ الإِغْريقِيُّ عَدَدًا وَعُدَّةً ، فَأَصْدَرَ أَغامِمْنون أَمْرَهُ

بِتَحَرُّكِ الأَسْطولِ ، وَرَحْفِهِ إلى طروادة ؛ فَأَقْلَعَتِ السُّفُنُ مُيَمِّمَةً شَطْرَها ؛ كَيْ تَثْأَرَ لِلْكَرامَةِ الَّتي أُهْدِرَتْ ، وَتَنْتَقِمَ لِلشَّرَفِ الَّذي أُهينَ . وَما إنْ بَلَغَتْ جَزيرَةَ تيندوس حَتى رَأى الإغْريقُ أنْ يَتَريَّثوا قَليلاً ، وَأنْ يَبْدَءوا الْعَمَلَ العَسْكَرِيَّ بِمَطْلَبٍ سِلْمِيٍّ ، تَحَبُّبًا لِوَيْلاتِ الحَرْبِ ، وَصَوْنًا لِدِماءِ الفَريقَيْنِ . وَطَلَبوا إلى ميلاوس أنْ يَذْهَبَ إلى الطُّرْواديِّين ، وَيَطْلُبَ إلَيْهِمْ أنْ يَرُدُّوا إليه زَوْجَتَهُ وَكُنوزَهُ المَنْهوبَةَ، وَأنْ يَصْطَحِبَ مَعَهُ في هَذِهِ المُهِمَّةِ أوديسيوس ، لِيَشُدَّ أَزْرَهُ ، فَقَدْ كانَ مِنْ أَفْصَحِ مُلوكِهِمْ وَأَحْكَمِهِمْ ، وَأَقْدَرِهِمْ عَلى المُحاوَرَةِ وَالاِحْتِجاجِ .

وَبَلَغَ مينيلاوس و أوديسيوس طُرْوادَة ، فَصادَفا تَرْحيبًا بالِغًا مِنْ أنتينور الأميرِ الطُّرْواديّ ، الَّذي أَكْرَمَ وِفادَتَهُما ، وَتَحَدَّثَ إلَيْهِما فَأَجادَ الحَديثَ ، وَأَنْبَأَهُمْ أنَّهُ وَالمَلِكُ پرياموس لا يَوَدّانِ إراقَةَ الدِّماءِ ، وَلا يَجِدانِ مانِعًا مِنْ إعادَةِ هيليني وَما حَمَلَتْهُ مِنْ كُنوزٍ ، وَلا يَرَيانِ في ذَلِكَ غَضاضَةً وَلا مَذَمَّةً ؛ بَلْ يَرَيانِ فيهِ إعادَةً لِلْحَقِّ إلى نِصابِهِ . وَلَكِنَّ العَقَبَةَ الْكَئودَ الَّتي تَعْتَرِضُ طَريقَهُما ، هِيَ أنَّ پاريس لا يُريدُ التَّفْريطَ في هيليني بِأَيَّةِ حالٍ .

وَحاوَلَ أوديسيوس – بِكُلِّ ما أُوتِيَ مِنْ فَصاحَةٍ – أنْ يَخْلُصَ لُبَّ

الطُّرْواديّين بِكَلِماتِهِ النّاعِمَةِ ، وَيَسْتَميلَهُمْ بِقُدْرَتِهِ البارِعَةِ عَلى الحِوار، وَلَكِنَّ مُحاوَلاتِهِ باءَتْ بالفَشَلِ ، فَلَمْ يَحِدْ مِنْ پاريس وَالأمراء الَّذينَ رافَقوهُ في رِحْلَتِهِ إلى إسبرطة أُذُنًا صاغِيَةً ، وَلا عُقولاً واعِيَةً ؛ بَلْ تَميَّزوا مِنْهُ غَيْظًا ، وَاسْتَشاطُوا عَلَيْهِ غَضَبًا ، وَهَمّوا بِهِ وَبِمينيلاوس لِيَقْتُلوهُما ، لَوْلا أنْ تَدارَكَهُما شُيوخُ طُرْوادَةَ فَصَدُّوا الأمَراءَ عَنِ اقْتِرافِ هَذا الفِعْلِ الشَّنيعِ .

وعادَ الاثْنانِ خائِبَيْنِ ، وَفي صَدْرَيْهِما مَقْتٌ فَظيعٌ لِلطُّرْواديّين ، الَّذينَ لَمْ يَرْعَوْا حُرْمَةً وَلا ذِمَّةً ، وَفي نَفْسَيْهِما اقْتِناعٌ قَوِيٌّ عَلى أنَّ اسْتِرْدادَ هيليني يَعْني الاسْتيلاءَ عَلى طُرْوادَة .

وَأيْقَنَ الطُّرْواديُّونَ أنَّ الحَرْبَ قادِمَةٌ ، خاصَّةً أنَّهُمْ سَمِعوا عَنِ الجَيْشِ الجَرّارِ الَّذي يَتَقَدَّمُ صَوْبَهُمْ ؛ لِذَلِكَ لَمْ يَرْكَنوا إلى الدَّعَةِ؛ وَإنَّما راحوا يَسْتَصْرِخونَ حيرانَهُمْ ، وَيُعِدّونَ لِلأمْرِ عُدَّتَهُ .

وَكانَ مِنْ بَيْنِهِم هِكْتور أَكْبَرُ أَبْناءِ پرياموس وَأَشْجَعُهُمْ وَأَصْبَرُهُمْ عِنْدَ اللِّقاءِ ، وَإلى جانِبِهِ أينياس بن أينخيسيس ، و الرَّبَّةُ أفروديتي ساحِبَةُ المَشورَةِ عَلى پاريس والعِمْلاقُ كوكنوس ابْنُ رَبِّ البَحْرِ سيبيدون ، وَكَثيرونَ هَبُّوا لِنَجْدَتِهِ، تَقاطَروا مِنْ طراقيا في أَقْصى الشَّمالِ ، وَمِنْ لوكيا في الجَنوبِ بِقِيادَةِ مَلِكِهِمْ ساربيدون ابْن الإلَهِ

نفسِهِ . كَما بَعَثَ الطُّرْوادِيُّونَ إلى المَلِكِ ميمنون ، مَلِكِ
ا ، يطْلُبونَ مِنْهُ الغَوْثَ وَالنَّجْدَةَ ، وَلَكِنَّ بَلَدَهُ كانَ بَعيداً جِدًّا ،
م يَكُنْ مِنَ المُؤَكَّدِ عِنْدَ الطُّرْوادِيِّينَ أَنَّهُ سَيَحِفُّ إلى نَجْدَتِهِمْ ، فَإِنَّ
طولَ الطَّريقِ ، وَبُعْدَ الشُّقَّةِ ، قَدْ يُقْعِدانِهِ عَنْ ذَلِكَ .

كانَتِ المُفاجَأَةُ المُرْعِبَةُ تَنْتَظِرُ الإغْريقَ ، فَما إنْ وَطِئَتْ أَقْدامُهُمْ
اليابِسَةَ حَتّى وَجَدوها قَدْ غَصَّتْ بِالجَيْشِ الطُّرْوادِيِّ وَحُلَفائِهِ مُتَأَهِّبًا
لِقِتالِهِمْ . وَدارَتْ مَعْرَكَةٌ رَهيبَةٌ قاسِيَةٌ ، حِمِيَ وَطيسُها ، وَراحَ
الطَّرَفانِ والعِمْلاقُ كوكنوس يَحْصُدونَ الإغْريقَ حَصْدًا ، كَأَنَّهُمْ
يَحْصُدونَ قَمْحٍ حانَ قِطافُها ، حَتّى وَقَعَ بَصَرُ أخيليوس ، وَهُوَ في
مَرْكَبِهِ يَدْفَعُها بِمُحاداةِ خَطِّ القِتالِ الطُّرْوادِيِّ ، عَلى العِمْلاقِ
كوكنوس وَهُوَ يَفْعَلُ بِالإغْريقِ الأَفاعيلَ : يُفَرِّقُ صُفوفَهُمْ ، وَيُمَزِّقُ
جُموعَهُمْ . وَراحَ أخيليوس يَطْعَنُهُ بِرُمْحِهِ الطَّعْنَةَ تِلْوَ الطَّعْنَةِ ، وَلَكِنَّ
الرُّمْحَ لا يَنْفُذُ فيهِ ، وَكَأَنَّ جَسَدَهُ صَخْرَةٌ صَمّاءُ لا تَبْتَلُّ مِنْهُ قَطْرَةُ دَمٍ
واحِدَةٍ ، فَقَدْ كانَ العِمْلاقُ ابْنًا لبوسَيْدون ، فَهُوَ مُحَصَّنٌ مِنْ كُلِّ
سِلاحٍ بَشَرِيٍّ . وَهُنا ثارَتْ ثائِرَةُ أخيليوس ، وَغَلى الدَّمُ في عُروقِهِ ،
وَإِذا هُوَ يُطَوِّحُ بِسِلاحِهِ بَعيداً ، وَيَهْبِطُ مِنْ عَرَبَتِهِ ، وَيَشْتَبِكُ مَعَ
العِمْلاقِ في عِراكٍ بِاليَدِ المُجَرَّدَةِ ، وَلا يَزالُ بِهِ حَتّى يُمَزِّقَ خَوْذَتَهُ ،
وَيُحَطِّمَ حُلْقومَهُ ، وَلَمْ تَتَراخَ عَنْهُ قَبْضَةُ يَدَيْهِ إلّا بَعْدَ أَنْ لَفَظَ أَنْفاسَهُ

مَخْنوقًا .

كانَ رَبُّ البَحْرِ بوسَيْدون يَرْقُبُ ما يَجْري لابْنِهِ ، وَيَألَمُ لِما يَنْزِلُ بِهِ ، فَلَما لَفَظَ أَنْفاسَهُ تَلَبَّثَ قَليلاً حَتّى غَفَلَ عَنْهُ أخيليوس ، وَالْتَقَطَ جُثَّتَهُ . وَاسْتَدارَ أخيليوس لِيَرْفَعَ جُثَّةَ غَريمِهِ إلى عَرَبَتِهِ ، فَكَمْ كانَتْ دَهْشَتُهُ حينَ لَمْ يَجِدْ غَيْرَ حُلَّةِ العِمْلاقِ الحَرْبِيَّةِ فارِغَةً ! لَقَدْ تَلاشَى العِمْلاقُ فَاسْتَدَّتِ الحَيْرَةُ بأخيليوس ، وَلَكِنَّهُ نَظَرَ إلى الفَضاءِ فَرَأى شَيْئًا عَجَبًا ! رَأى بَجَعَةً بَرِّيَّةً تَسْبَحُ في زُرْقَةِ السَّماءِ الصّافِيَةِ ! لَقَدْ تَحَوَّلَ كوكنوس إلى بَجَعَةٍ ، وَمُنْذُ ذَلِكَ الحينِ الْتَصَقَتْ بِهِ صِفَةُ الطّائِرِ السَّماوِيِّ ، حَتّى إنَّ الإغْريقَ أَطْلَقوا اسْمَ كوكنوس عَلى البَجَعَةِ !

الفصل الثالث

عِراكُ أخيليوس

رَوَّعَتْ شَجاعَةُ أخيليوس نُفوسَ الطُّرْوادِيِّين تَرْويعًا عَنيفًا ، وَأثارَتْ في صُدورِهِمِ الرُّعْبَ ، وَأَوْقَعَتْ في صُفوفِهِمِ الفَزَعَ ، فَما لَبِثوا أَنْ أَسْرَعوا إلى داخِلِ مَدينَتِهِمْ ، يَحْتَمونَ بِحِصْنِها ، وَيُقاتِلونَ مِنْ خَلْفِ أَسْوارِها ، وَلَمْ تُواتِهِمِ الجُرْأَةُ عَلى أَنْ يَخْرُجوا إلى السَّهْلِ المَكْشوفِ لِيُنازِلوا الإغْريقَ أَوْ يُقاتِلوهُمْ .

وأَصْغى الإغريقُ إلى نَصيحَةِ أوديسيوس ، فَحَفَروا خَنْدَقًا حَوْلَ مُخَيَّمِهِمْ وَسُفُنِهِمْ ، وَبَنَوْا سورًا لَهُ خَمْسَةُ أَبْوابٍ ، يُحيطُ بِمُعَسْكَرِهِمْ ، فَلا يَسْتَطيعُ الأَعْداءُ أَنْ يَظْهَروهُ ، وَلا يَسْتَطيعونَ لَهُ نَقْبًا .

ولَمْ يَهْدَأْ لِلأَغْريقِ نَشاطٌ ، وَلَمْ يَفْتُرْ مِنْهُمْ حَماسٌ ، فَقَدْ جَعَلوا هَمَّهُمُ الإغارَةَ عَلى البُلْدانِ المُحاوِرَةِ لِطُرْوادَةَ ، وَبَثَّ الرُّعْبَ في

قُلوبِ قاطِنيها ، وَالاِسْتيلاءَ عَلى أَمْوالِهِمْ ، وَسَبْيَ نِسائِهِمْ ؛ فاسْتَطاعَ أخيليوس بَسْطَ سُلْطانِهِ عَلى بَلْدَةِ ليرنيسوس ، وَظَفِرَ بِفَتاةٍ جَميلَةٍ تُدْعَى بريسايس اِتَّخَذَها زَوْجَةً . وكانَتْ جائِزَتَهُ في تِلْكَ الغارَةِ ، كَما أَسَرَ أغاممنون فَتاةً باهِرَةَ الجَمالِ تُدْعَى خريسايس ، كانَتِ ابْنَةَ خروسيس ، كاهِنِ الإلَهِ أبوللو . وَلَمّا عَلِمَ ما حَلَّ بِابْنَتِهِ أَصابَهُ هَمٌّ فَظيعٌ ، وَأَظْلَمَتِ الدُّنْيا في عَيْنَيْهِ ، وَسَعى خاشِعاً لأغاممنون يَسْتَعْطِفُهُ، وَيَعْرِضُ عَلَيْهِ كُلَّ ما يَمْلِكُ لِقاءَ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ ابْنَتَهُ . وَلَكِنَّ أغاممنون أَغْلَظَ لِلْكاهِنِ القَوْلَ ، وَتَوَعَّدَهُ بِالوَيْلِ وَالثُّبورِ لَوْ تَلَبَّثَ قَليلاً في مُعَسْكَرِ الإغْريقِ ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُغادِرَهُ سَريعاً حَتّى لا وَيُنْزِلَ بِهِ أَسْوَأَ عِقابٍ .

وخَرَجَ الكاهِنُ العَجوزُ كَسيرَ الفُؤادِ ، حَزينَ النَّفْسِ ، فَما إِنْ تَوارى عَنْ مُعَسْكَرِ الإغْريقِ حَتّى بَسَطَ يَدَيْهِ نَحْوَ السَّماءِ ، وَدَعا الإلَهَ أبوللو ، بِصَوْتٍ تَخْنُقُهُ العَبَراتُ ، أَنْ يُسْعِفَهُ وَيُعاوِنَهُ .

وَ رَقَّ إلَهُ الشَّمْسِ لِكاهِنِهِ العَجوزِ ؛ فَابْتَلى الإغْريقَ بِمَرَضٍ وَبيلٍ ، راحَ يَفْتِكُ بِهِمْ فَتْكاً ذَريعاً ، لا يُفَرِّقُ بَيْنَ الرِّجالِ وَالماشِيَةِ وَالحُيولِ . وَظَلَّ تِسْعَةَ أَيّامٍ يَعْصِفُ بِهِمْ عَصْفاً ، وَالإغْريقُ عاجِزونَ ، لا يَمْلِكونَ لَهُ دَفْعاً ، إلّا بِالتَّضَرُّعِ لِلسَّماءِ ؛ وَلَكِنَّ الآلِهَةَ قَدْ صَمَّتْ آذانَها عَنْ دَعَواتِهِمْ ، وَأَغْمَضَتْ عُيونَها دونَهُمْ . فَاجْتَمَعوا

المَشورَةِ في أَمْرِ هَذِهِ الكارِثَةِ الَّتي أَصابَتْ مُعَسْكَرَهُمْ ، فَقالَ رَجُلٌ حَكيمٌ مِنْهُمْ اسْمُهُ كالخاس مُخاطِباً أخيليوس :

« أَيْ أخيليوس العَظيمُ ، لَوْ وَعَدْتَني بِالحِمايَةِ ، وَأَعْطَيْتَني العَهْدَ بِالأمانِ ، فَسَأَقْضي إِلَيْكُمْ بِالسَّبَبِ الَّذي جَعَلَ الإلَهَ أبوللو يُنْزِلُ بِنا شَديدَ عِقابِهِ ، وَيُسَلِّطُ عَلَيْنا هَذا الَّذي يوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ عَلَيْنا جَميعاً لَوْ طالَتِ الحالُ أَيّاماً أُخْرى ! إنَّ كَلِماتي سَتُغْضِبُ رَجُلاً ذا مَقامٍ عالٍ بَيْنَنا ، فَلَنْ أَبوحَ بِشَيْءٍ ، وَلَنْ أَنْطِقَ بِكَلِمَةٍ قَبْلَ أَنْ تَعِدَني بِالحِمايَةِ ، وَتُعاهِدَ بِأَنَّني لَنْ يَعْرِضَ لي أَحَدٌ ، وَلَنْ يَمَسَّني أَحَدٌ بِسوءٍ ! »

وأَعْطى أخيليوس الرَّجُلَ عَهْداً بِالأمانِ ، فقالَ الرَّجُلُ الحَكيمُ كالخاس . « إنَّ سَبَبَ غَضَبِ أبوللو عَلَيْنا كُلَّ هَذا الغَضَبِ أَنَّ أغاممنون كانَ فَظّاً غَليظاً مَعَ كاهِنِهِ خروسيس ، وَلَنْ يَهْدَأَ لِلإلَهِ بالٌ، وَلَنْ يَرْفَعَ عَنّا ما نَحْنُ فيهِ ، إلّا إذا رَدَّ أغاممنون ابْنَةَ الكاهِنِ إلى أَبيها مُكَرَّمَةً ، وَقَدَّمَ مِئَةَ ثَوْرٍ قُرْباناً لِلإلَهِ ! »

ولَمْ يُطِقْ أغاممنون صَبْراً عَلى ما سَمِعَ ، فَصاحَ : « إذا كانَ مَسْرورِيًّا لِكَيْ يَرْفَعَ عَنْكُمَ الإلَهُ ما أَنْتُمْ فيهِ مِنْ كَرْبٍ وَبَلاءٍ أَنْ أُسَلِّمَ بِالحَميلَةِ خريسايس ، فَعَلَيْكُمْ أَنْ تُعَوِّضوني عَنْ هَذِهِ التَّضْحِيَةِ بِعَذْراءَ جَميلَةٍ مِثْلِها ، فَلَيْسَ مِنَ العَدْلِ أَنْ أَكونَ وَحْدي

بَيْنَكُمُ المَحْرومَ مِنَ الجائِزَةِ !»

أجابَهُ أخيليوس في حَنَقٍ : « أيُّها المَلِكُ الجَشِعُ ، كَيْفَ يَتَسَنَّى لَنا تَعْويضُكَ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّنا اقْتَسَمْنا بَيْنَنا كُلَّ ما غَنِمْناهُ مِنَ البُلْدانِ الَّتي بَسَطْنا سُلْطانَنا عَلَيْها ؟ أَيَليقُ بِنا أَنْ نَسْتَجْدِيَ رِجالًا ما مَنَحناهُمْ إِيّاه ؟ أَمْ يا تُرى نَعْتَصِبُهُ مِنْهُمُ اغْتِصابًا ؟ الأَوْلى بِكَ أَنْ تَتَّجِهَ إِلى السَّماءِ ، وَتَضَعَ فيها ثِقَتَكَ ، وَلَكَ عَلَيْنا حينَما نَسْتَوْلي عَلى طُرْوادة أَنْ تَحْظَى بِجائِزَتِكَ أَضْعافًا مُضاعَفَةً .»

وَغَضِبَ أغاممنون غَضَبًا عَنيفًا ، وَقالَ في ضيقٍ وَغَيْظٍ : « أَيْ أخيليوس الشُّجاعُ ، لا تُغالِطْ نَفْسَكَ ، وَلا تَخْدَعْها بِهٰذِهِ الكَلِماتِ النّاعِمَةِ ، فَإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ مِنّي شَيْئًا . إِذا أَرَدْتُمْ أَنْ أَرُدَّ خريسايس الفاتِنَةَ إِلى أَبيها الكاهِنِ فَعَلَيْكُمْ أَنْ تُعَوِّضوني ، وَإِذا لَمْ تَفْعَلوا فَسَأَتَقَدَّمُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسي لأَخْتارَ العَذْراءَ الَّتي تَروقُني ، وَلَوْ كانَتْ عَذْراءَكَ أَنْتَ .»

صاحَ أخيليوس : « تَبًّا لَكَ مِنْ قائِدٍ ! كَيْفَ تَرْجو مِنَ الإِغْريقِ أَنْ يَنْقادوا لَكَ ؟ إِنَّهُ لَيْسَ بَيْني وَبَيْنَ لطُّرْوادِيّينَ ما يَحْمِلُني عَلى حَرْبِهِمْ ، فَهُمْ لَمْ يَسْتَوْلوا عَلى رَوْجَتي ، وَلَمْ يَغْتَصِبوا كُنوزي ، وَإِنَّما جِئْنا لِحَرْبِهِمْ ذَوْدًا عَنْ شَرَفِ مينيلاوس أَخيكَ ، وَأَراكَ تَتَحاهَلُ

هُنّي لِنَجْدَتِكُمْ ، وَتَتَطاوَلُ لِتَسْلُبَني حائِزَتي ، الَّتي قاتَلْتُ مِنْ أَجْلِها قُوَّةً وَنِسالَةً . يا لَكَ مِنْ مَلِكٍ فاقِدِ الحَياءِ ! أَهٰكَذا تَمْضي الأُمورُ ؟ كُلَّما هاجَمْنا مَدينَةً طُرْوادِيَّةً تَوَلَّيْتُ أَنا قِيادَةَ المَعْرَكَةِ ، وَاكْتَوَيْتُ بِنارِها ، حَتّى إِذا أَسْفَرَتْ عَنِ النَّصْرِ ، وَحانَ وَقْتُ تَوْزيعِ الأَسْلابِ وَالغَنائِمِ الَّتي أَصَبْناها - ظَفِرْتَ أَنْتَ بِالقِسْطِ الأَعْظَمِ ، فَهَلْ مِنَ العَدْلِ أَنْ يَكونَ لَكَ دائِمًا الغُنْمُ وَعَلَيَّ دائِمًا الغُرْمُ ؟ إِنَّهُ مِنَ الخَيْرِ لي وَلِمَنْ مَعي أَنْ نَعودَ إِلى وَطَنِنا ، وَنَدَعَكَ وَحْدَكَ لِتَفوزَ بِأَيِّ مَجْدٍ مِنْ غَيْري لَوِ اسْتَطَعْتَ !»

اسْتَمَرَّ أغاممنون سادِرًا في غُلَوائِهِ ، وَقالَ لأخيليوس : « عُدْ إِلى مَسْكَنِكَ كَما تَشاءُ ، فَسَواءٌ عَلَيَّ أَبَقيتَ أَمِ انْصَرَفْتَ وَلَنْ أَتَوَسَّلَ إِلَيْكَ كَيْ تَبْقى . أَنا أَعْرِفُ قُوَّتَكَ ، وَأَعْرِفُ سِرَّها ، وَلٰكِنَّ الفَضْلَ في ذٰلِكَ لا يَعودُ إِلَيْكَ ؛ وَإِنَّما يَعودُ إِلى الآلِهَةِ الَّتي حَصَّنَتْكَ ضِدَّ السِّلاحِ البَشَرِيِّ ، فَأَوْرَثَتْكَ هٰذِهِ القُوَّةَ وَالشَّجاعَةَ . إِنَّني لا أُبالي بِمَسْكَنِكَ ، وَلا تُزْعِجُني رَمْحَرَتُكَ ، وَلْتَعْلَمْ أَنَّهُ إِذا كانَتْ رَغْبَةُ أبوللو أَلّا أُعيدَ ابْنَةَ كاهِنِهِ إِلَيْهِ فَأَنا مُجيبٌ رَغْبَتَهُ ، وَلٰكِنّي سَأَسْلُبُكَ جائِزَتَكَ خريسايس الفاتِنَةَ ؛ لِتَعْرِفَ أَيُّنا أَشَدُّ وَأَقْوى !»

بَلَغَ الغَضَبُ مِنْ أخيليوس ذِرْوَتَهُ ، وَأَسْرَعَتْ يَدُهُ إِلى مَقْبِضِ سَيْفِهِ ، وَهَمَّتْ أَنْ تَسُلَّهُ مِنْ غِمْدِهِ ، وَلٰكِنْ قَبْلَ أَنْ يَفْعَلَ كانَتِ الرَّبَّةُ

أثينة قَدْ هَبطَتْ مِنْ عَلْيائِها ، وَ وَقَفَتْ مِنْ وَرائِهِ ، وَمَرَّتْ بِيَدِها الحانِيَةِ عَلى شَعْرِهِ الذَّهَبِيِّ . وَشَعَرَ أخيليوس بِهذِهِ اللَّمْسَةِ الرَّقيقَةِ الرَّفيقَةِ ، فَاسْتَدارَ لِيَرى اليَدَ الَّتي تُرَبِّتُ عَلَيْهِ ، وَقالَ : « أَنْتِ هُنا أَيَّتُها الرَّبَّةُ أثينة ؟ لِماذا ؟»

« أَرْسَلَتْني الرَّبَّةُ هيرا لأُهَدِّئَ مِنْ رَوْعِكَ ، فَهِيَ تُكِنُّ لَكَ الحُبَّ كَما تُكِنُّهُ لأغاممنون ، وَلا تُريدُ أَنْ يَنْشَبَ بَيْنَكُما عِراكٌ ، وَسَتَتَوَلّى هِيَ عِقابَهُ عَلى إهانَتِهِ لَكَ ، إذا أَنْتَ لَبَّيْتَ رَغْبَتَها .»

« لا مَفَرَّ لي مِنَ الطّاعَةِ ، فَلَيْسَ في طاقَتي قِتالُ الآلِهَةِ ، وَلَيْسَتْ لي رَغْبَةٌ فيهِ .»

وَكَرَّتْ أثينة راجِعَةً إلى جَبَلِ أوليمبوس المُقَدَّس ، وَالتَفَتَ أخيليوس إلى أغاممنون بِنَفْسٍ قَدْ حالَطَها شَيْءٌ مِنْ هُدوءٍ ، وَقالَ لَهُ بِصَوْتٍ حاوَلَ أَنْ يُخَفِّفَ نَبْرَتَهُ : « إنَّ بريسياس زَوْجَتي ، وَأَنْتَ الَّذي مَنَحْتَني إيّاها عِنْدَ تَقْسيمِ الغَنائِمِ ، وَيُمْكِنُكَ أَنْ تَسْتَرِدَّها ؛ لَكِنْ لَوْ حَدَّثَتْكَ نَفْسُكَ بِاسْتِلابِ أيِّ شَيْءٍ مِنْ مُمْتَلَكاتي الأُخْرى فَسَوْفَ تَلْقى حَتْفَكَ بِسَيْفي هَذا . وَإنّي لأُقْسِمُ قَسَماً لا حَنْثَ فيهِ أَنَّكَ – قَريباً – سَتَعَضُّ بَنانَ النَّدَمِ ، وَمَعَكَ جَميعُ الإغريقِ عَلى ما بَدَرَ مِنْكَ في حَقّي ، وَ ما وَجَّهْتَهُ مِنْ إهانَةٍ إلى أَشْجَعِ الجُنودِ طُرًّا .»

نَطَقَ أخيليوس بِهٰذِهِ الكلماتِ ، ثُمَّ استدارَ ، وَ وَلّى مُسْرِعاً خارجَ المُعَسْكَرِ .

أعادَ أغاممون خريسايس إلى أبيها الكاهِنِ ، وَمَعَها مِئَةُ ثَوْرٍ قُرْباناً لِلإلٰهِ أبولّو ، تَكْفيراً عَنْ إثْمِهِ ، وَأَمَلاً في مَحْوِ خَطيئَتِهِ . كَذٰلِكَ أطْلَقَ أخيليوس سَراحَ بريسايس ، وَتَرَكَها حُرَّةً تَمْضي كَما تَشاءُ ، بَيْدَ أنَّ حُزْنَهُ عَلَيْها كانَ شَديداً . ثُمَّ أقْسَمَ أنَّهُ لَنْ يُقاتِلَ بَعْدَ اليَوْمِ مِنْ أجْلِ أغاممنون ، لا هُوَ وَلا قَوْمُهُ المورميدونيون .

وَذَهَبَتْ بريسايس لِشَأْنِها ، وَحَلَّتْ أخيليوس مَحْزوناً ، ضائِقَ الصَّدْرِ ، يَجْثُمُ عَلى قَلْبِهِ الهَمُّ . فَجَلَسَ عَلى شاطِئِ البَحْرِ شارِدَ النَّظَرِ ، كاسِفَ البالِ ، فَتَراءى لَهُ طَيْفُ أُمِّهِ ثيتيس ، فَناداها بِصَوْتٍ يَقْطُرُ لَوْعَةً وَأَسًى :

« أُمّاهُ ، أعْلَمُ أنَّهُ مَقْدورٌ عَلَيَّ أنْ أموتَ في رَيْعانِ الشَّبابِ ، فَلِماذا أموتُ مَغْموراً دونَ أنْ أحْظى بِالمَجْدِ وَالشُّهْرَةِ في حَياتي هٰذِهِ القَصيرَةِ ؟ إنَّ أغاممون قَدِ اشْتَطَّ في إهانَتي ، وَسَلَبَني جائِزَتي ، وَهِيَ أعَزُّ ما أمْلِكُ ، فَلِماذا تَتْرُكينَني وَحيداً ؟»

تَناهى إلى سَمْعِ ثيتيس هٰذا النِّداءُ ، وَهِيَ جالِسَةٌ في قَصْرِها المُنيفِ في أعْماقِ البَحْرِ ، فَحَزِنَتْ مِنْ أجْلِ وَلَدِها حُزْناً شَديداً ،

..عدتْ إلَيْهِ ، تَشُقُّ الماءَ شَقّاً ، حَتّى إذا ما بَلَغَتْهُ ، وَقَفَتْ إلى .. ، وَرَبَّتَتْ بِيَدِها عَلى كَتِفِهِ ، وَطَفِقَتْ تُواسيهِ ، وَ وَعَدَتْهُ أنْ ..ل إلى زيوس كَيْ يَكْتُبَ النَّصْرَ لِلطُّرْواديّينَ ، وَيُذيقَ أغاممون ..لإغريق مَعَهُ ذُلَّ الهَزيمَةِ جَزاءَ ما اقْتَرَفوهُ في حَقِّ ابْنِها أخيليوس

وَطابَتْ نَفْسُ أخيليوس بِما سَمِعَ ، وَعادَ إلى سَفينَتِهِ راضِياً .

الفصل الرابع

بين پاريس ومينيلاوس

صَلَّتْ ثيتيس صَلاةً حاشِعَةً لِلإلهِ زيوس ، وَتَوَسَّلَتْ إلَيْهِ أنْ يَرْحَمَ ابْنَها أحيليوس مِمَّا نَزَلَ بِهِ مِنْ ضيق ؛ فَاسْتَجاب لِصَلاتِها ، وَأَلْهَمَ أغاممنون حُلْمًا كاذِبًا ، أنَّ عَلَيْهِ أنْ يَسْتَنْفِرَ الأمَراءَ الإغْريقَ ، وَيَحْشِدَهُمْ لِحَرْبِ الطُّرْوادِيِّينَ عِنْدَ الأسْوارِ .

وَفي صَباحِ اليَوْمِ التّالي جَمَعَ أعاممنون الأمَراءَ ، وَكَشَفَ لَهُمْ عَنْ مَضْمونِ الحُلْمِ الَّذي أَلْهَمَهُ إيّاهُ زيوس كَبيرُ الآلِهَةِ ، وَحَثَّهُمْ عَلى اسْتِئْنافِ القِتالِ ، مُغْرِيًا لَهُمْ بِأنَّ النَّصْرَ سَيَكونُ حَليفَهُمْ . وَلَكِنَّ الأمَراءَ لَمْ يَكونوا عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّهِ ، فَقَدْ خَيَّبوا أمَلَهُ بِتَقاعُسِهِمْ عَنِ القِتالِ ، حَتّى إنَّ أحَدَهُمْ وَيُدْعَى ثيرسيتيس ، وَكانَ سَيِّئَ المَنْظَرِ ، قَبيحَ الوَجْهِ ، صاحَ في أغاممنون :

« مادا تُريدُ أيُّها المَلِكُ الجَشِعُ ؟ إنَّ خِيامَكَ غاصَّةٌ بِالإماءِ

المُصيلاتِ ، مُكْتَظَّةٌ بِالجَواهِرِ الثَّمينَةِ ، الَّتي غَنِمناها لَكَ مِنْ بِلادِ الطُّرْوادِيِّينَ ، وَلَكِنَّكَ هُمْ لا تَشْبَعُ وَلا تَقْنَعُ ، وَإنَّما دائِمًا هَلْ مِنْ مَزيدٍ ، فَماذا تُريدُ ؟»

ثُمَّ التَفَتَ إلى الأمَراءِ مُوَجِّهًا الحَديثَ إلَيْهِمْ :

« لَقَدْ أرْهَقَنا هَذا المَلِكُ مِنْ أمْرِنا عُسْرًا ، وَحَمَّلَنا مِنْ وَيْلاتِ الحَرْبِ وَتَبِعاتِها فَوْقَ ما نُطيقُ ؛ فَمِنَ الخَيْرِ لَنا أنْ نَنْقَلِبَ إلى بِلادِنا ، وَنُخَلِّي بَيْنَ هَذا المَلِكِ الجَشِعِ وَبَيْنَ الطُّرْوادِيِّينَ ، يَصْنَعونَ بِهِ ما يَشاءونَ . لَقَدْ أهانَ أشْجَعَ جُنودِنا طُرًّا .»

وَرادَ عَلَى الجَميعِ صَمْتٌ ثَقيلٌ ، وَتَهامَسَ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ ، بِأنَّ أوديسيوس قَطَعَ حِبالَ هَذا الصَّمْتِ الرَّهيبِ ، وَصاحَ في الرَّجُلِ :

« أيُّهَذا الأحْمَقُ ، كَيْفَ تَجْرُؤُ عَلى مُحاطَبَةِ قائِدِنا وَمَلِكِنا المَمونِ بِهَذِهِ الطَّريقَةِ ؟ كُفَّ عَنْ سَفاهَتِكَ ، وَالْزَمِ الصَّمْتَ .»

وَما إنْ نَطَقَ أوديسيوس ، بِهَذِهِ الكَلِماتِ حَتّى بادَرَ ثيرسيتيس بِصَرْخَةٍ شَديدَةٍ عاتِيَةٍ بَيْنَ كَتِفَيْهِ أقْعَدَتْهُ ، وَأَلْزَمَتْهُ الصَّمْتَ ، وَراحَ يَمْسَحُ الدُّموعَ الَّتي اغْرَوْرَقَتْ بِها عَيْناهُ ، يَحُولُ بَيْنَها وَبَيْنَ أنْ

تَفْضَحَ شَجاعَتَهُ ، وَتُفْصِحَ عَنْ جُبْنِهِ وَنَذالَتِهِ .

ثُمَّ الْتَفَتَ أوديسيوس إلى القَوْمِ ، وَقَدْ تَعَلَّقَتْ بِهِ أَبْصارُهُمْ ، وَقالَ :

« أَيُّها الأُمَراءُ الإغْريقُ ، إنَّهُ لَمِنَ العارِ أَنْ نَحُثَّ في عَهْدِنا الَّذي أَعْطَيْناهُ تيندايوس والِدَ هيليني ، وَإنَّ كِبْرِياءَنا سَوْفَ تُمَرَّغُ في الوَحَلِ لَوْ عُدْنا بِدونِها . وَلَكِنَّا لا يُمْكِنُنا البَقاءُ عَلى هَذِهِ الحالِ طَويلاً ، فَعَلَيْنا إذاً – أَنْ نَتَذَرَّعَ بِالصَّبْرِ ، وَأَنْ نُقْسِمَ عَلى البِرِّ بِعَهْدِنا ، وَعَلى ألا نَعودَ إلى بِلادِنا إلا بَعْدَ أَنْ نَسْتَوْلِيَ عَلى طُرْوادة ، وَنَسْتَرِدَّ هيليني وَما اغْتَصَبوهُ مِنّا .»

وَبَثَّ هَذا القَوْلُ الحَماسَةَ في نُفوسِ الأُمَراءِ ، وَصابَتْ لَهُ نَفْسُ أعاممنون ، فَأَمَرَ الإغْريقَ أَنْ يَتَناوَلوا فُصورَهُمْ ، وَيَسْتَعِدّوا لِلْقِتالِ ، بِشَحْذِ رِماحِهِمْ ، وَصَقْلِ سُيوفِهِمْ ، فَقَدْ عَقَدَ العَزْمَ عَلى مُلاقاةِ الطُّرْوادِيِّينَ اليَوْمَ ، كَما أَلْهَمَهُ زيوس .

وَاحْتَشَدَ الجَيْشُ الإغْريقِيُّ ، وَشَرَعَ يَزْحَفُ نَحْوَ أَسْوارِ طُرْوادَة ، على حينِ كانَ المَلِكُ پرياموس – مَلِكُ طُرْوادَة – يَجْلِسُ هُناك فَوْقَ قِمَّةِ القَلْعَةِ ، قُرْبَ أَحَدِ الأَبْوابِ ، يَرْقُبُ ما يَحْدُثُ ، وَيَتَجاذَبُ أَطْرافَ الحَديثِ مَعَ بَعْض رِفاقِهِ وَقُرَنائِهِ مِنَ الشُّيوخِ . وَلاحَتْ مِنْهُ

هادئة فَأَبْصَرَ هيليني تَسيرُ نَحْوَ السّورِ ، فَناداها في رِفْقٍ وَمَوَدَّةٍ ، فَلَمّا اتَّجَهَتْ نَحْوَهُ ، وَرَآها رِفاقُهُ ، تَهامَسَ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ :

« حَقّا إنَّها لَرائِعَةُ الجَمالِ كالرَّبّاتِ ! وَلَيْسَ مِنَ العارِ أَنْ يَتَقاتَلَ الإغْريقُ وَالطُّرْوادِيّونَ مِنْ أَجْلِها ، وَلَكِنْ مِنَ الأَفْضَلِ لَها وَلَنا أَنْ تَعود إلى وَطَنِها ، فَما كانَ لِلْجَمالِ – مَهْما كانَتْ رَوْعَتُهُ – أَنْ يَكون سَبَبًا في إشْعالِ نيرانِ الحُروبِ ، الَّتي نَشْقى بِها نَحْنُ ، وَيَشْقى بِها أَطْفالُنا مِنْ بَعْدِنا ، وَتَجُرُّ عَلى البِلادِ الخَرابَ وَالدَّمارَ !»

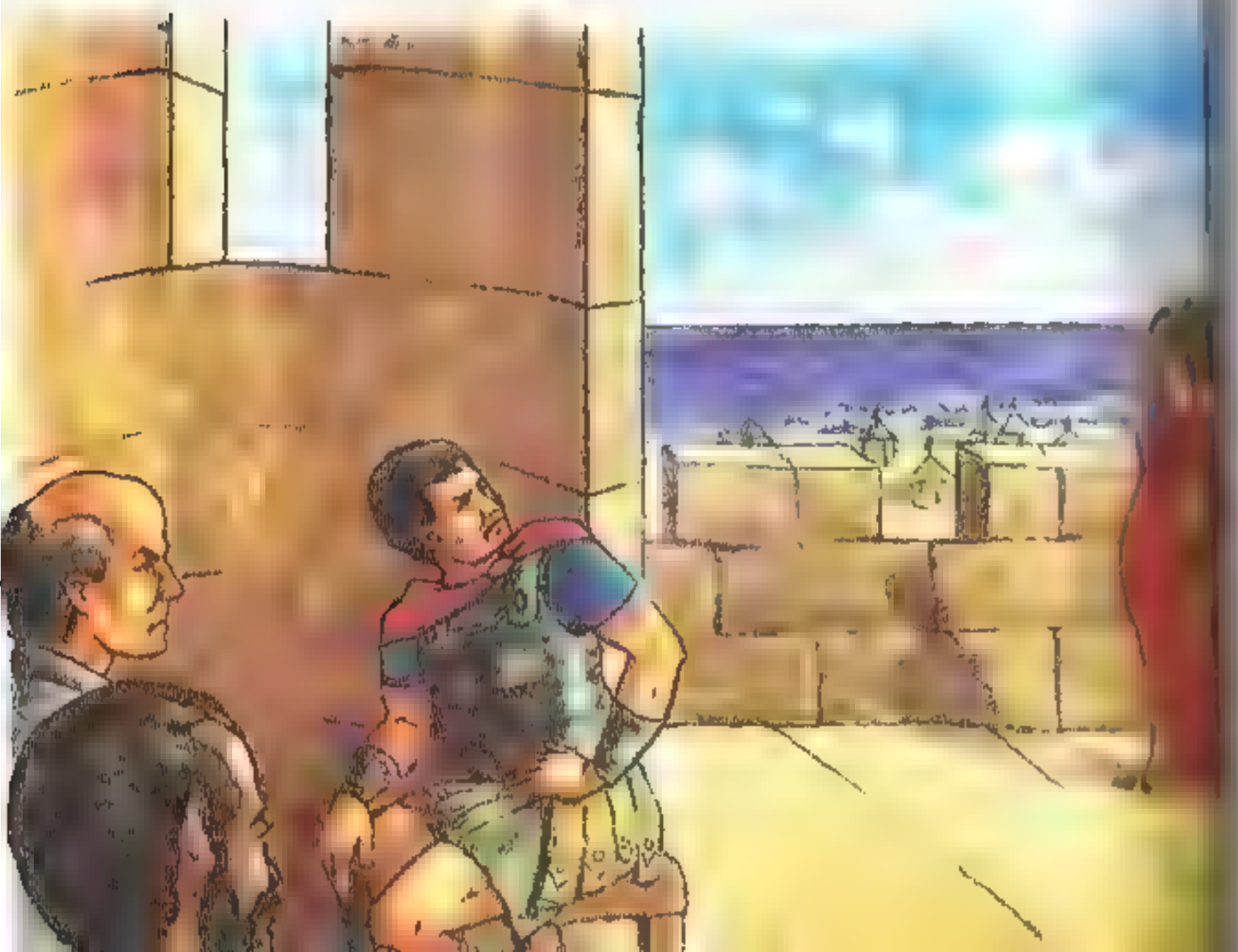

وَقالَ پرياموس لهيليي : « أيْ طِفْلَتي العَزيزَةَ ! أنا لا أَلومُكِ عَلى ما حَدَثَ ، ولا أُحَمِّلُكِ وِزْرَ ما يَحْدُثُ . إنَّها إرادَةُ الآلِهَةِ ، وَلا بُدَّ لَها أنْ تَنْفُذَ . لَكِنْ أَخْبِريني يا طِفْلَتي العَزيزَةَ : مَنْ ذَلِكَ الأميرُ القَويُّ الواقِفُ هُناكَ ؟ إنَّهُ يَبْدو جُنْدِيًّا شُجاعًا نَبيلاً .»

ونَظَرَتْ هيليي حَيْثُ أشارَ پرياموس ، ثُمَّ أطْرَقَتْ ، وَقالَتْ : « حَمايَ العَزيزَ ، كَمْ أحِسُّ بِالخَجَلِ الشَّديدِ وَأنا ماثِلَةٌ الآنَ بَيْنَ يَدَيْكَ ؛ فَقَدْ جَلَبْتُ بِقُدومي مَعَ ابْنِكَ پاريس ، عَلَيْكُمْ وَعَلى قَوْمي ، هَذِهِ الحَرْبَ الطّاحِنَةَ . لَيْتَني مِتُّ قَبْلَ هَذا ، وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيا ! إنَّ ذَلِكَ الأميرَ الَّذي تُشيرُ إلَيْهِ يا حَمايَ العَزيزَ هُوَ أغامِمنون شَقيقُ مينيلاوس الَّذي كانَ زَوْجًا لي ذاتَ يَوْمٍ .»

« لا لَوْمَ عَلَيْكِ يا طِفْلَتي العَزيزَةَ ، فَهَذا مِنْ تَدْبيرِ الآلِهَةِ ، وَلا حيلَةَ لَنا في دَفْعِهِ ، وَلا بُدَّ أنْ يَمْضِيَ إلى مَداهُ . أخْبِريني ، مَنْ ذَلِكَ الرَّجُلُ الآخَرُ الواقِفُ هُناكَ ؟ أ تَرَيْنَ حَيْثُ أشيرُ ؟ إنَّهُ لَيْسَ فارِعَ الطّولِ كأغامِمنون ، وَلَكِنَّ مَنْكِبَيْهِ أعْرَضُ وَأقْوى ، وَهُوَ يَتَأهَّبُ لارْتِداءِ حُلَّتِهِ الحَرْبِيَّةِ . إنَّهُ يَسيرُ بَيْنَ الْقَوْمِ يُحَمِّسُهُمْ وَيَحْفِزُهُمْ إلى القِتالِ فيما يَبْدو .»

« إنَّهُ أوديسيوس مَلِكُ إيثاكي ، أرْحَبُ الإغْريقِ عَقْلاً ، وَأرْزَنُهُمْ

حِلْمًا .»

وكانَتْ هيليني تَتَحَدَّثُ إلى المَلِكِ پرياموس وَمَشاعِرُ النَّدَمِ الحَسْرَةِ تَجْتاحُها ، وَالدُّموعُ تَتَرَقْرَقُ في مآقيها ، حُزْنًا عَلى ما وَقَعَ مِنْها مِنْ فِعْلٍ سَوْفَ يَجُرُّ خَرابًا وَدَمارًا عَلى القَوْمِ ، يَظَلّانِ مُقْتَرِنَيْنِ باسْمِها مَدَى الدَّهْرِ !

وانْتَهَى الإغْريقُ اسْتِعْدادَهُمْ ، وَزَحَفوا بِهُدوءٍ نَحْوَ أسْوارِ طُرْوادَةَ . وَخَرَجَ الطُّرْواديّونَ مِنْ أسْوارِهِمْ يَصيحونَ صَيْحاتٍ مُدَوِّيَةً ، يَقودُهُمْ پاريس في حُلَّتِهِ الحَرْبِيَّةِ ، مُعَلِّقًا قَوْسَهُ عَلى مَنْكِبِهِ ، عارِضًا رُمْحَهُ ، مُدَلِّيًا سَيْفَهُ إلى جانِبِهِ ، وَكَأنَّما يَظُنُّ الأمْرَ نُزْهَةَ صَيْدٍ مُمْتِعَةً .

وبَلَغَ الطُّرْواديُّونَ السَّهْلَ المَكْشوفَ ، وَالتَحَمَ الجَيْشانِ ، وَدارَتِ المَعْرَكَةُ ، وَحَمِيَ وَطيسُها . وَفي أثْنائِها وَقَعَ بَصَرُ مينيلاوس عَلى غَريمِهِ پاريس ، فَظَنَّ أنَّ الفُرْصَةَ قَدْ واتَتْهُ ، وَأنَّ ساعَةَ انْتِقامِهِ لِشَرَفِهِ وَكَبْرِيائِهِ قَدْ حانَتْ ؛ فَها هُوَ ذا غَريمُهُ أمامَ عَيْنَيْهِ ، وَعَلَيْهِ أنْ يَظْفَرَ بِهِ ، كَيْ يَشْفِيَ بِقَتْلِهِ غَليلَهُ ، وَيُذْهِبَ غَيْظَ قَلْبِهِ . وَلِذَلِكَ قَفَزَ مُسْرِعًا مِنْ عَرَبَتِهِ ، وَهَجَمَ عَلى پاريس يَوَدُّ أنْ يَفْتِكَ بِهِ ، وَيُمَزِّقَهُ بِيَدَيْهِ ، وَيَتْرُكَ جَسَدَهُ أشْلاءً لِلطُّيورِ . وَلَكِنْ پاريس ما إنْ وَقَعَتْ عَيْناهُ عَلى مينيلاوس ، وَرَأى الشَّرَرَ الَّذي تَقْدَحُهُ عَيْناهُ ، حَتّى دَبَّ الرُّعْبُ

في صَدْرِه ، وَطارَتْ نَفْسُهُ شَعاعاً ، فَأَسْرَعَ يَتَوارَى خَلْفَ الرِّجالِ .

وَنَظَرَ هِكتور إلى أخيهِ نَظْرَةً غاضِبَةً مُسْتَنْكِرَةً ، وَقالَ لَهُ : « أَيُّها التَّعيسُ ، ما هَذا التَّخاذُلُ الَّذي يَبْدو عَلَيْكَ ؟ وَما هَذا العارُ الَّذي تُجَلِّلُ بِهِ هامَتَكَ ، وَتَسْحَبُهُ عَلَيْنا مَعَكَ ؟ أَ إلى هَذا الحَدِّ خارَ عَزْمُكَ ؟ ماذا سَيَقولُ عَنْكَ الإغْريقُ ؟ كَيْفَ ارْتَضَيْتَ لِنَفْسِكَ وَأَنْتَ هَذا الجَبانُ الرِّعْديدُ أَنْ تَسْتَدرِجَ مَعَكَ رِجالاً شُجْعاناً مِنْ قَوْمِنا ، وَتَصْحَبَهُمْ عَبْرَ البَحْرِ ؛ لِتُغْرِيَ زَوْجَةَ رَجُلٍ آخَرَ ، وَتَخْتَطِفَها مِنْ بَيْنِ قَوْمِها ، وَتَجْلِبَ عَلى أَبيكَ وَمَدينَتِكَ وَقَوْمِكَ ما لا قِبَلَ لَهُمْ بِهِ مِنَ الهَمِّ ، وَها أَنْتَ ذا الآنَ تَصُدُّ نَفْسَكَ مَوْضِعَ السُّخْرِيَةِ .»

وَذاتَ پاريس خَجَلاً أَمامَ لَوْمِ أَخيهِ، وَأَجابَ : « أَيْ هِكتور ، إِنَّكَ لَعَلى صَوابٍ في كُلِّ ما قُلْتَهُ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّني لا أَسْتَطيعُ الاحْتِفاظَ بِشَجاعَتي ، مِثْلَكَ ، وَيَكادُ الرُّعْبُ يَشُلُّ حَرَكَتي في كَثيرٍ مِنَ الأَحْيانِ . إِذاً أَرَدْتَني أَنْ أُقاتِلَ بِبَسالَةٍ فَلْتَطْلُبْ إلى الإغْريق وَالطُّرْوادِيِّينَ أَنْ يَنْحازُوا عَنِ القِتالِ ، وَيُخَلّوا بَيْني وَبَيْنَ مينيلاوس نَتَقاتَلْ رَجُلاً لِرَجُلٍ ، وَأَيُّنا يُحْرِزُ النَّصْرَ عَلى الآخَرِ تَكونُ هيليني مِنْ نَصيبِهِ . وَبِذَلِكَ نَكْفي الجُنودَ شَرَّ القِتالِ ، وَنَصونُ دِماءَهُمْ ، وَيَعيشُونَ في أَوْطانِهِمْ في دَعَةٍ وَسَلامٍ وَأَمانٍ .»

أَعْجَبَ هِكتور بِمَقالَةِ پاريس ، وَمَلأَتْ قَلْبَهُ غِبْطَةً وَسُروراً ، وَفي الحالِ طَلَبَ مِنَ الفَرِيقَيْنِ هُدْنَةً . وَفي المَسافَةِ الَّتي تَفْصِلُ بَيْنَ الفَريقَيْنِ وَضَعَ المَلِكُ پرياموس وَالمَلِكُ أَغامِمنون شُروطَ القِتالِ .

وَأَحْضَرَ پرياموس كَبْشَيْنِ قُرْباناً لِلآلِهَةِ ، في حينَ شَهَرَ أَغامِمنون سَيْفَهُ ، وَصاحَ قائِلاً :

« إِنْ يَقْتُلْ پاريس ميلاوس فَلَهُ الحَقُّ في أَنْ يَحْتَفِظَ بِهيليني ، وَعَلى الإغْريق أَنْ يَعودوا مِنْ حَيْثُ أَتَوْا . أَمّا إِذا قَتَلَ مينيلاوس پاريس فَسَتَكونُ هيليني مِنْ نَصيبِهِ ، وَعَلى الطُّرْوادِيِّينَ أَنْ يَرُدُّوها إِلَيْهِ وَمَعَها الكُنوزُ ، وَفاءً بِما قَطَعوهُ عَلى أَنْفُسِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ، وَما ارْتَبَطوا بِهِ مِنْ وَعْدٍ ، فَإِذا ما رَفَضوا الوَفاءَ ، وَحَنَثوا في العَهْدِ فَأُقْسِمُ بِجَميعِ الآلِهَةِ أَنّا لَنْ نَعودَ أَدْراجَنا حَتّى نُبيدَ طُرْوادَةَ وَسُكّانَها أَجْمَعينَ .»

وَما إِنْ أَتَمَّ قَوْلَهُ حَتّى احْتَزَّ بِسَيْفِهِ عُنُقَيِ الكَبْشَيْنِ ، وَأَقْبَلَ الجُنُودُ الَّذينَ كانوا يُصْغونَ إِلَيْهِ – يُصَلّونَ في ضَراعَةٍ لِلإِلَهِ زيوس .

أَمّا پرياموس فَقَدْ عادَ إلى عَرَبَتِهِ ، وَقَفَلَ عائِداً إلى طُرْوادَةَ ، فَما يَسْتَطيعُ أَنْ يَشْهَدَ وَلَدَهُ الحَبيبَ پاريس وَهُوَ يَلْتَقي في عِراكٍ مُميتٍ مَعَ ميلاوس الشَّديد البَأْسِ ، المُمْتَلِئِ غَيْظاً عَلى غَريمِهِ .

وَقاسَ هِكتور وَأوديسيوس الأَرْضَ ؛ لِيُحَدِّدا المِساحَةَ اللازِمَةَ مَيْدانًا لِلْمُبارَزَةِ ، وَلِيَقِفَ الجُنودُ خَلْفَها تَرَقُّبًا لِما تَنْتَهي المَعْرَكَةُ إِلَيْهِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ ، في حينَ تَجَهَّزَ كُلٌّ مِنْ مينيلاوس وباريس بِسِلاحِهِما ، وَأَعَدّا عُدَّتَهُما لِلنِّزالِ ، الَّذي قَدْ يُنْهي الحَرْبَ .

وَبَدَأَتِ المَعْرَكَةُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ بِضَرْبَةِ رُمْحٍ مِنْ باريس ، لَكِنَّها لَمْ تَصْنَعْ شَيْئًا في مينيلاوس ، إِذْ تَحَطَّمَ الرُّمْحُ فَوْقَ دِرْعِهِ ، وَالتَوى طَرَفُهُ . وَهَزَّ مينيلاوس رُمْحَهُ كَما لَمْ يَهُزَّهُ مِنْ قَبْلُ ، وَعاجَلَ باريس بِطَعْنَةِ رُمْحٍ عاتِيَةٍ ، اخْتَرَقَتْ دِرْعَهُ ، وَجَرَحَتْهُ جُرْحًا طَفيفًا . وَحينَئِذٍ اسْتَلَّ ميينيلاوس سَيْفَهُ ، وَ وَجَّهَ ضَرْبَةً قاسِيَةً لِغَريمِهِ ، وَلَكِنَّ السَّيْفَ تَحَطَّمَ فَوْقَ خَوْذَتِهِ ؛ فَاسْتَشاطَ مينيلاوس غَضَبًا ، وَثارَتْ نَفْسُهُ ثَوْرَةً عارِمَةً ، وَأَطْبَقَ عَلى باريس بِيَدَيْهِ ، وَقَبَضَ عَلى ريشَةِ خَوْذَتِهِ المَصْنوعَةِ مِنْ شَعْرِ الخَيْلِ ، وَلَفَّها حَوْلَ عُنُقِهِ ، وَأَخَذَ يَجُرُّهُ جَرًّا عَنيفًا ، وَيَسْحَبُهُ سَحْبًا قَوِيًّا نَحْوَ مُعَسْكَرِ الإِغْريقِ . وَكادَ سَيْرُ الخَوْذَةِ يَخْنُقُهُ ، وَنَظَرَ الأَمَراءُ وَالْجُنودُ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ ، وَفي قُلوبِهِمْ نَشْوَةٌ مَكْتومَةٌ مِنَ الفَرَحِ ، فَقَدْ آذَنَتِ الحَرْبُ بِالانْتِهاءِ ، وَأَصْبَحَ النَّصْرُ عَلى مَرْمَى رُمْحٍ مِنْ مينيلاوس .

لَكِنَّ رَبَّةَ الجَمالِ وَالحُبِّ – أفروديتي – عَزَّ عَلَيْها أَنْ يُهْزَمَ

، فَقَطَعَتْ سَيْرَ الحَوْدَةِ قَبْلَ أَنْ يَحْتَرِقَ بِها ، وَتَشَكَّلَتْ في صُورَةِ سَحابَةٍ حَمَلَتْهُ بَعيداً إِلى طُرْوادة ، حَيْثُ كانَ يَلْعَقُ جِراحَهُ وَهُوَ بَيْنَ ذِراعَيْ أَفروديتي ، وَيُعَزِّي نَفْسَهُ بِتَدَخُّلِها في المَعْرَكَةِ ، وَإِنْقاذِها لَهُ مِنَ المَوْتِ المُحَقَّقِ . وَما ذَلِكَ إِلا لأَنَّهُ أَثيرٌ لَدَيْها ، وَما كانَتْ لِتُفَرِّطَ فيهِ ، وَتَنْسَى أَنَّهُ فَضَّلَها ذاتَ يَوْمٍ عَلى الرَّبّاتِ الأُخْرَياتِ ، وَمَنَحَها التُّفّاحَةَ الذَّهَبِيَّةَ .

أَمّا مينيلاوس فَقَدِ انْدَفَعَ ثائِراً هائِجاً ، يَبْحَثُ بَيْنَ الطُّرْوادِيِّينَ عَنْ غَريمِهِ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَعْثُرْ لَهُ عَلى أَثَرٍ ، وَيَصْرُخُ فيهِمْ أَنْ يَدُلُّوهُ عَلَيْهِ. وَما كانوا يَسْتَضيعونَ ذَلِكَ ؛ إِذْ هُوَ لا وُجودَ لَهُ بَيْنَهُمْ ، وَلَوْ رَأَوْا أَوْ عَرَفوا مَكانَهُ لأَسْلَموهُ . فَما أَحَدٌ مِنْهُمْ يَرْغَبُ في إِحْفائِهِ ، وَالحَيْلولَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَصيرِهِ ، فَكُلُّهُمْ ضائِقٌ بِهِ ، لِما جَلَبَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ شُرورٍ وَوَيْلاتٍ .

وَتَكَلَّمَ أَعاظِمونُ مُحاطِبًا الطُّرْوادِيِّينَ : « إِنَّ مينيلاوس هُوَ الَّذي فازَ عَلى خَصْمِهِ ، فَهَيّا كونوا أَوْفِياءَ لِما قَطَعْتُمْ عَلى أَنْفُسِكُمْ مِنْ عَهْدٍ ، وما أَعْطَيْتُمْ مِنْ مَواثيقَ . هَيّا رُدّوا عَلَيْنا هيليني وَكُنوزَنا المَنْهوبَةَ ؛ لِتَكْفوا أَنْفُسَكُمْ مَئونَةَ القِتالِ .»

وَرَحَّبَ الإِغْريقُ بِكَلِماتِهِ ، وَالتَفّوا حَوْلَهُ مُناصِرينَ مُؤَيِّدينَ .

الفصل الخامس

نَقْضُ الهُدْنَةِ

عَزَّ عَلى الرَّبَّةِ أَثينة أَنْ تَهْدَأَ ساحَةُ المَعْرَكَةِ بَيْنَ الطُّرْوادِيِّينَ وَالإِغْريقِ ، وَرَغِبَتْ في أَنْ تُثيرَها فِتْنَةً شَعْواءَ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ ، وَتُديعَ الوَصْمَ وَالاضْطِرابَ في صُفوفِ الطُّرْوادِيِّين ، فَتَنَكَّرَتْ في صورَةِ لاودوكوس بن أَنتينور ، وَعَمَدَتْ إِلى قَوّاسٍ مَغْمورٍ ، وَوَسْوَسَتْ لَهُ : « إِنَّكَ إِذا صَوَّبْتَ سَهْماً مِنْ سِهامِكَ نَحْوَ مينيلاوس فَأَرْدَيْتَهُ قَتيلاً خَلَّصْتَ قَوْمَكَ مِنْ شُرورِ الحَرْبِ ، وَسَجَّلْتَ اسْمَكَ في صَحائِفِ الخُلودِ بِمِدادٍ مِنَ النّورِ ، وَسَيَمْنَحُكَ پاريس جائِزَةً سَنِيَّةً .»

وَأَعْمى حيالُ الشُّهْرَةِ قَلْبَ القَوّاسِ المَغْمورِ ، وَعَطَّلَتْ غَشاوَةُ المالِ عَيْنَيْ بَصيرَتِهِ ؛ فَانْقادَ لإِغْرائِها ، وَراشَ سَهْمَهُ ، وَشَدَّ وَتَرَ قَوْسِهِ ، وَصَوَّبَ في دِقَّةٍ وَإِحْكامٍ نَحْوَ مينيلاوس فَأَصابَهُ في حَيْنِهِ .

لَقَدْ كانَ حَقّاً حُرْحاً غَيْرَ نافِذٍ ، وَلَمْ يُقْتَلْ مينيلاوس ، وَلَكِنَّ الدَّمَ

انْتَشَقَ أَحْمَرَ قانِياً ، ما إنْ رَآهُ أغاممنون حَتّى ثارَتْ ثائِرَتُهُ ، وَجُنَّ جُنونُهُ ، وَأَرْسَلَ صَيْحَةً مُدَوِّيَةً :

« لَقَدْ نَقَضَ الطُّرْوادِيّونَ الهُدْنَةَ ، وَعاوَدَتْهُمْ خِسَّةُ نُفوسِهِمْ ، فَرَمَوْا مينيلاوس بِسَهْمٍ . إنَّ عَلَيْنا أيُّها الإغْريقُ أنْ نَرُدَّ لَهُمُ الصّاعَ صاعَيْنِ ، وَنَجْعَلَهُمْ يَنْدَمونَ أشَدَّ النَّدَمِ عَلى فَعْلَتِهِمْ هَذِهِ المُنْكَرَةِ . هَيّا اسْتَعِدّوا لِلْقِتالِ !»

وَتَدَفَّقَتْ حَحافِلُ الجَيْشِ الإغْرِيقِيِّ كَالأمْواجِ الهادِرَةِ نَحْوَ الشّاطِئِ ، تَكادُ نُفوسُهُمْ تَتَمَيَّزُ مِنْ شِدَّةِ الغَيْظِ عَلى هَؤُلاءِ الطُّرْوادِيِّينَ الَّذينَ سَمَحَ لَهُمْ لُؤْمُ صِباعِهِمْ أنْ يَنْكُثوا العَهْدَ ، وَيَنْقُضوا الأيْمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها .

وَالْتَحَمَ الجَيْشانِ في مَعْرَكَةٍ ضارِيَةٍ ، وَصارَ لا يُسْمَعُ غَيْرَ صَليلِ السُّيوفِ ، وَصَوْتِ الرِّياحِ ، وَأنينِ الجَرْحَى . واسْتَبْدَلَ سَهْلُ طُرْوادَةَ بِلَوْنِهِ الطَّبيعِيِّ لَوْناً آخَرَ أحْمَرَ قانِياً لِكَثْرَةِ ما سالَ فَوْقَ أرْضِهِ مِنْ دِماءٍ .

وَراعَ الآلِهَةَ هَذا الدَّمُ المَسْفوكُ الَّذي تَشْهَدُهُ عُيونُها ، وَحَزَّ في نُفوسِها هَذا الأنينُ الحَزينُ الَّذي يَتَصاعَدُ فَيَكادُ يُصِمُّ آذانَها ، فَنَصَحَتْ هكتور أنْ يَطْلُبَ هُدْنَةً لِلْمَرَّةِ الثّانِيَةِ ، وَيَتَحَدّى واحِداً مِنَ

الإغْريقِ لِمُنازَلَتِهِ . فَلَما اسْتَوى الجانِبانِ فَوْقَ الأرْضِ صاحَ هكتور :

« أيُّها الطُّرْوادِيّونَ ، وَأنْتُمْ أيُّها الإغْريقُ ، إنَّهُ لَمِمّا يُثيرُ غَضَبَ الآلِهَةِ مِنّا ، أنّا لَمْ نَحْتَرِمِ الهُدْنَةَ . وَالآنَ وَجَميعُ أمَراءِ الإغْريقِ مَوْجودونَ بَيْنَنا فَإنّي أطْلُبُ هُدْنَةً أخْرى ، وَأتَحَدّى أحَدَهُمْ لِمُنازَلَتي .»

وَخَيَّمَ عَلى المَيْدانِ سُكُونٌ ، فَما تُسْمَعُ فيهِ نَأمَةٌ ، وَلا تَنْبِسُ فيهِ شَفَةٌ فَالإغْريقُ يَخْشَوْنَ عاقِبَةَ اللِّقاءِ بِهَذا المُقاتِلِ المُتَمَرِّسِ وَجْهاً لِوَجْهٍ ، وَيَوَدُّونَ مِنْ صَميمِ قُلوبِهِمْ لَوْ عَدَلَ عَنْ رَأيِهِ ؛ وَلَكِنَّهُ مُصِرٌّ عَلى عَرْضِهِ ، راغِبٌ رَغْبَةً أكيدَةً في إنْقاذِهِ . وَما لِلإغْريقِ بُدٌّ مِنْ إجابَةِ تَحَدِّيهِ ، حَتّى لا يَكْسوهُمُ العارُ أبَدَ الدَّهْرِ .

لَقَدْ هَمَّ مينيلاوس ، عَلى الرَّغْمِ مِنْ جُرْحِهِ أنْ يَقْبَلَ هَذا التَّحَدّي ، وَلَكِنَّ أغاممنون ثَناهُ عَنْ عَزْمِهِ ، وَرَدَّهُ إلى صَوابِهِ ، فَانْبَرى أياس العَظيمُ ، وَقَبِلَ تَحَدّي هِكتور .

وَسَرى في قُلوبِ الطُّرْوادِيِّينَ شَيْءٌ غَيْرُ قَليلٍ مِنَ الخَوْفِ ، حينَ رَأوْا ضَخامَةَ جِسْمِهِ ، وَجَهامَةَ وَجْهِهِ ، وَما تَقْدَحُهُ عَيْناهُ مِنْ شَرَرٍ ، حَتّى هِكتور راحَتْ صَرَباتُ قَلْبِهِ تَتَلاحَقُ في سُرْعَةٍ رَهيبَةٍ ، لِما يُنْذِرُ بِهِ شَكْلُ أياس مِنْ شَرٍّ مُسْتَطيرٍ . وَلَوْلا أنَّ غَلَبَهُ الخَوْفُ مِنْ سوءِ

الأحْدوثَةِ لَبادَرَ إلى الرُّجوعِ فيما قالَ .

وَتَقَدَّمَ أياس العَظيمُ ، وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلى رُمْحِهِ ، وَقالَ لهكتور :

« أيْ هكتور ، سَتَعْلَمُ الآنَ أنَّ في جَيْشِ الإغْريقِ مُقاتِلينَ شُجْعاناً ، وَرُماةً ماهِرينَ ، عَلى الرَّغْمِ مِنْ غِيابِ أخيليوس وتَخَلِّيهِ عَنِ القِتالِ .»

« أيْ أياس ، لا تُحاوِلْ إرْهابي ، فَلَسْتُ طِفْلاً غَريراً لَمْ يَتَمَرَّسْ بِفُنونِ الحَرْبِ ، أوِ امْرَأةً لا خِبْرةَ عِنْدَها بِغَيْرِ فُنونِ الجَمالِ وَالحُبِّ . لَطالَما حُضْتُ المَعارِكَ ، وَأنْتَ بِذَلِكَ عَليمٌ ، وَلَنْ أتَرَدَّدَ لَحْظَةً في القَضاءِ عَلَيْكَ مَتى ظَفِرْتُ بِكَ ، فَاحْذَرْ شَرّي .»

وَهَزَّ هكتور رُمْحَهُ ، وَرَمى بِهِ أياس ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ مِنْهُ مَبْلَغاً . وَصَوَّبَ أياس فَدَقَّقَ التَّصْويبَ ، وَرَمى هكتور بِرُمْحِهِ ، فاخْتَرَقَ دِرْعَهُ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْغَرِزْ في جِسْمِهِ ؛ إذْ تَحاماهُ بِخِفَّةٍ وَبَراعَةٍ . وَظَلّا يَقْتَتِلانِ طَوالَ النَّهارِ ، وَاسْتَخْدَما جَميعَ الأسْلِحَةِ : الرِّماحَ تارَةً ، وَالسُّيوفَ تارَةً أخْرى ، وَلَمّا لَمْ يُحْدِ السِّلاحُ فَتيلاً تَقاتَلا بِالأيْدي المُجَرَّدَةِ ، حَتّى هَبَطَ المَساءُ ، وَلَمْ تُكْتَبِ الغَلَبَةُ لأحَدِهِما ، فَقالَ هكتور :

« أيْ أياس ، إنَّكَ لَمُحارِبٌ عَظيمٌ حَقّاً ، بَلْ إنَّكَ مِنْ خَيْرِ

مُحارِبي الإغْريقِ وَالآنَ وَقَدْ حَلَّ الظَّلامُ ، دَعْنا نُوقِفِ القِتالَ ، ثُمَّ نَسْتَأنِفُهُ في نَهارٍ آخَرَ ، عَلى أنْ نَفْتَرِقَ صَديقَيْنِ ، حَتى يُقالَ : إنَّنا تَقاتَلْنا في عِراكٍ عَلَنِيٍّ قِتالاً شَريفاً في بَسالَةٍ نادِرَةٍ ، وَافْتَرَقْنا فارِسَيْنِ صَديقَيْنِ .. فَلْتَذْهَبْ إلى مُعَسْكَرِكَ ، وَلأعُدْ إلى طُرْوادَةَ .»

وَقَدَّمَ هِكتور سَيْفاً رائِعاً لأياس هَدِيَّةَ تَقْديرٍ وَإعْجابٍ ، كَما قَدَّمَ أياس زُنَّاراً مِنَ الفِضَّةِ لهكتور أمارَةَ تَقْديرِهِ لَهُ ، وَاحْتِرامِهِ لِشَجاعَتِهِ .

وَ أوْلَمَ أغامنون في مُعَسْكَرِ الإغْريقِ وَليمَةً فاخِرَةً إحْلالاً لِبَطَلِهِمْ أياس ، وَأثْنى عَلى بَلائِهِ وَمَهارَتِهِ الحَرْبِيَّةِ ، وَفُروسِيَّتِهِ العَظيمَةِ .

وَفي الصَّباح راحَ كُلٌّ مِنَ الفَريقَيْنِ يُلَمْلِمُ أشْلاءَ قَتْلاهُ ، وَيُودِعُها الثَّرى ، فَقَدْ تَوَقَّفَ القِتالُ طَوالَ النَّهارِ .

الفصل السادس

مَشورَةُ نسطور الحكيم

عَبَّأ أغامنون الجَيْشَ الإغْريقيَّ أحْسَنَ ما تَكونُ التَّعْبِئَةُ ، وَزَحَفَ بِهِ في اليَوْمِ التّالي في حَسارَةٍ فائِقَةٍ – لِمُلاقاةِ الطُّرْواديِّينَ . وَلَمْ يتألَّقْ أحَدٌ في ذَلِكَ اليَوْمِ كَما تَألَّقَ أغامنون ، فَقَدْ فاقَتْ شَجاعَتُهُ كُلَّ تَصَوُّرٍ ، وَقَتَلَ مِنَ الطُّرْواديِّينَ حَلْقاً كَثيراً ، وَرَدَّ جَيْشَهُمْ عَلى أعْقابِهِ مَدْحوراً . وَظَلَّ يُقاتِلُ في بَسالَةٍ نادِرَةٍ حَتَّى وَقْتِ الظَّهيرَةِ ، عِنْدَما أصابَهُ رُمْحُ أحَدِ الأعْداءِ في يَدِهِ اليُمْنى ، فَلَمْ تَهِنْ عَزيمَتُهُ ، وإنَّما ظَلَّ في المَيْدانِ صامِداً مُقاتِلاً ، حَتَّى ألَحَّ عَلَيْهِ أَلَمُ الجُرْحِ فَلَمْ يَجِدْ مَفَرًّا مِنَ العَوْدَةِ إلى المُعَسْكَرِ .

عِنْدَئِذٍ تَقَدَّمَ هِكْتور . وَدارَتْ رَحَى المَعْرَكَةِ أعْنَفَ ما تَكونُ ، وَلَقِيَ هِكتور في المَيْدانِ أوديسيوس ، وديوميديس ، وَهُما مِنْ أعْظَمِ حُشودِ الإغْريقِ شَجاعَةً . وَحانَتْ لديوميديس فُرْصَةٌ مِنْ هكتور ، فَهَوَى

عَلى حوْذتِهِ بِضرْبَةٍ شَديدَةٍ مِنْ سيْفِهِ جَعَلَتِ الأرْضَ تَدورُ بِهِ ، وَأصبَحَ كالمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ ، فَاضْطُرَّ إلى التَّقَهْقُرِ وَمُحاوَلَةِ الانْسِحابِ مِنَ المَعْرَكَةِ . وَلَكِنَّ باريس أصابَ ديوميديس بِطَعْنَةٍ رُمْحٍ في عَقِبِهِ ، الأمْرُ الَّذي لَمْ يَسْتَطِعْ مَعَهُ في المَعْرَكَةِ بَقاءً ؛ بَلْ تَخَلّى عَنْها ، وَراحَ يَسْعى حَثيثًا إلى المُعَسْكَرِ ، وَالدَّمُ يَنْزِفُ مِنْ جُرْحِهِ ، وَيَتَقاطَرُ وَراءَهُ في طَريقِهِ إلى خَيْمَتِهِ .

لَمّا عادَ ديوميدس إلى المُعَسْكَرِ أصْبَحَ أوديسيوس وَحيدًا في المَيْدانِ ، فَتَكاثَرَ عَلَيْهِ الطُّرْواديُّونَ ، وَضَرَبوا حَوْلَهُ حِصارًا مَتينًا ، وَأتيحَ لأحَدِهِمْ أنْ يُصيبَهُ بِجُرْحٍ في جَنْبِهِ ؛ وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يُقْعِدْ هِمَّتَهُ عَنْ مُواصَلَةِ القِتالِ بِجَنانٍ ثابِتٍ . بَيْدَ أنَّهُ وَقَدْ أصْبَحَ في المَيْدانِ وَحيدًا ، وَفي جَنْبِهِ مُصابًا ، رَأى المَوْتَ يَدْنو مِنْهُ ، فَأطْلَقَ صَيْحَتَهُ يَطْلُبُ العَوْنَ وَالنَّجْدَةَ ، فَصادَفَتْ أُذُنًا مُصْغِيَةً ، وَقَلْبًا جَسورًا ، مِنْ أياس وَ مينيلاوس فَهُرِعا إلَيْهِ مُلَبِّيَيْنِ .

أثْخَنَتِ الجِراحُ مُعْظَمَ قادَةِ الإغْريقِ ، وَتَمَزَّقَتْ حُمومُ جَيْشِهِمْ ، وَراحوا يَنْسَحِبونَ مِنَ المَيْدانِ ، وَيُصْطَرِبونَ في العَوْدَةِ إلى مُعَسْكَرِهِمْ ، وَالطُّرْواديُّونَ يَتَعَقَّبونَهُمْ : يَقْتُلونَ وَيَجْرَحونَ ، وَقَدْ أسْكَرَتْهُمْ نَشْوَةُ الظَّفَرِ ، فَطَفِقوا يَصيحونَ وَيُهَلِّلونَ .

في ذَلِكَ الحينِ كانَ أخيليوس يَجْلِسُ فَوْقَ ظَهْرِ سَفينَتِهِ ، يَرْقُبُ سيرَ المَعْرَكَةِ ، وَيَجِدُ في نَفْسِهِ لَذَّةً وَمُتْعَةً ، وَهُوَ يَرى قادَةَ الإغْريقِ يَعودُونَ إلى المُعَسْكَرِ مُنْكَسِرينَ ، في حُلوقِهِمْ مَرارَةُ الهَزيمَةِ ، وَفي جُسومِهِمْ آثارُ الجِراحِ . وَخَرَجَتِ الكَلِماتُ مِنْ فَمِهِ إلى صَديقِهِ باتروكلوس تُعْلِنُ عَمّا يَخْتَلِجُ بَيْنَ جَوانِحِهِ مِنْ فَرْحَةٍ وَغِبْطَةٍ .

قالَ : « بَعْدَ قَليلٍ سَوْفَ يَأتي الإغْريقُ إلَيَّ ، وَتَنْحَني أعْناقُهُمْ بَيْنَ يَدَيَّ ، يَطْلُبونَ مِنّي النَّجْدَةَ وَالغَوْثَ ؛ فَهُمُ الآنَ أحْوَجُ ما يَكونونَ إلَيَّ ! اِذْهَبْ يا باتروكلوس سَريعًا إلى خَيْمَةِ نسطور ، وَتَبَيَّنْ أمْرَ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذي كانَ يَحْمِلُهُ في عَرَبَتِهِ . لَقَدْ خُيِّلَ إلَيَّ أنَّهُ الطَّبيبُ ماخاوون . لَقَدْ مَرَقَتِ العَرَبَةُ سريعًا في جِواري ، فَلَمْ أتَبَيَّنْ وَجْهَهُ في وُضوحٍ . »

عَدا باتروكلوس إلى خَيْمَةِ نسطور ، فَوَجَدَهُ عاكِفًا عَلى تَضْميدِ جِراحِ ماخاوون .

وَلَمّا بَصُرَ بِهِ نسطور قالَ لَهُ : « ماذا يَصيرُ أحيليوس ، وَهُوَ هادِئٌ ساكِنٌ في سَفينَتِهِ ، لَوْ أنَّ جَميعَ جُنودِ الإغْريقِ قَدْ جُرِحوا أوْ قُتِلوا ؟ هَلْ يَدْري أنَّ ديوميديس و أوديسيوس ، بَلْ أعاظِمونَ نَفْسَهُ ، يُعانونَ مِنْ آلامِ الجِراحِ الَّتي أصابَتْهُمْ ، وَيَلْعَقونَ مَرارَةَ الهَزيمَةِ الَّتي مُنِيَ

بِها حَيْشُنا ؟ لَيْتني كُنْتُ فيها شابًّا قَوِيًّا فَأَمْحُوَ ما لَحِقَنا مِنْ عارِ الهَزيمَةِ ، وَأَرُدَّ لِلإغْريق كَرامَتَهُمْ وَعِزَّتَهُمْ . اِذْهَبْ يا پاتروكلوس إلى أخيليوس العَظيمِ ، وَارْجُهُ أَنْ يُعيرَكَ حُلَّتَهُ الحَرْبِيَّةَ إِنْ أَبى النُّزولَ إلى ساحَةِ المَعْرَكَةِ بِنَفْسِهِ ، فَلَعَلَّ الطُّرْوادِيِّينَ تَخْدَعُهُمُ الحُلَّةُ ، وَيَظُنُّونَكَ أخيليوس ، فَيَفْعَلُ الخَوْفُ فِعْلَهُ في قُلوبِهِمْ . وَرُبَّما اسْتَطَعْتَ أَنْتَ والمورميدونيون وَقَدْ سَلِمْتُمْ مِنْ أَذى المَعْرَكَةِ اليَوْمَ - وَما زِلْتُمْ في فَوْرَةِ نَشاطِكُمْ - أَنْ تَكْسِروا شَوْكَتَهُمْ ، وَتُحَقِّقوا لِلإغْريقِ ما فَقَدوهُ في مَعْرَكَةِ اليَوْمِ مِنْ عِزَّتِهِمْ وَكَرامَتِهِمْ »

عِنْدَئِذٍ عادَ پاتروكلوس مُسْرِعًا إلى أخيليوس ، في حينَ راحَ سطور يَعْمَلُ عَلى نَزْعِ السَّهْمِ مِنْ كَتِفِ ماحاوون ، وَيُنَظِّفُ الجُرْحَ ، وَيُضَمِّدُهُ تَضْميدَ خَبيرٍ حَكيمٍ في سُرْعَةٍ وَإِتْقانٍ .

وَتَوَسَّلَ پاتروكلوس إلى أخيليوس أَنْ يَمْضِيَ إلى ساحَةِ القِتالِ ؛ لِيُسْعِفَ الإغْريقَ ، وَيَرْفَعَ عَنْهُمْ ما أصابَهُمْ مِنَ الذُّلِّ وَالعارِ . وَلَكِنَّ أخيليوس رَفَضَ تَوَسُّلاتِهِ ، فَما زالَتْ تُؤْذي نَفْسَهُ إهانَةُ أغاممون لَهُ ، وَما زالَ جُرْحُهُ مِنْها يَنْزِفُ .

فَأَلَحَّ عَلَيْهِ صَديقُهُ پاتروكلوس أَنْ يُعيرَهُ حُلَّتَهُ الحَرْبِيَّةَ - ما دامَ مُصِرًّا عَلى عَدَمِ خَوْضِ المَعْرَكَةِ بِنَفْسِهِ عَلَّ هَذِهِ الحُلَّةَ تُرْهِبُ

الطُّرْوادِيِّينَ ، وَتَقومُ مَقامَ صاحِبِها في تَرْويعِهِمْ .

أَخيرًا ، وَعَلى مَضَضٍ ، وَفي ضيقٍ شَديدٍ ، قَبِلَ أخيليوس ذَلِكَ ، كَما أَذِنَ لِلمورميدونيين أَنْ يَهُبُّوا لِنَجْدَةِ الإغْريقِ .

وسارَعَ پاتروكلوس إلى ارْتِداءِ حُلَّةِ أخيليوس الحَرْبِيَّةِ ، ذاتِ الصِّيتِ الذّائِعِ ، وَالوَهَجِ الَّذي يَكادُ يَخْطَفُ الأَبْصارَ ، وَنَشِطَ في بَثِّ الحَماسِ في نُفوسِ المورميدونيين وَتَعْبِئَتِهِمْ لِلْقِتالِ ، ثُمَّ قادَهُمْ إلى حَوْمَةِ الوَغى غَيْرَ هَيّابٍ وَلا وَجِلٍ . فَقَدْ فَعَلَتْ حُلَّةُ أخيليوس في نَفْسِهِ فِعْلَها ، وَزادَتْهُ قُوَّةً عَلى قُوَّتِهِ ، فَراحَ يَحُزُّ رُءوسَ الطُّرْوادِيِّينَ الَّتي أَثْقَلَها الرُّعْبُ ، فَتَساقَطَتْ تَحْتَ ضَرَباتِهِ كَما تَتَساقَطُ أَوْراقُ الخَريفِ اليابِسَةُ . لَقَدِ اجْتاحَ پاتروكلوس الجَيْشَ الطُّرْوادِيَّ كَما تَجْتاحُ الرِّياحُ النّاعِمَةُ لُجَجَ الضَّبابِ المُتَكاثِفَةَ حَوْلَ ذُؤابَةِ جَبَلٍ ، وَأَزاحَهُمْ بَعيدًا عَنِ المُعَسْكَرِ الإغْريقِيِّ ، عَلَى الرَّغْمِ مِنِ اسْتِماتَةِ الكَثيرينَ مِنْهُمْ في القِتالِ لَقَدْ قَتَلَ پاتروكلوس وميسيلاوس قائِدًا طرْوادِيًّا كَبيرًا ، كَما قَتَلَ أَبْناءً نسطور صَديقَيْنِ لساريبدون مَلِكِ لوكيا وَابْنِ زيوس .

وَبَيْنَما كانَ پاتروكلوس يَقودُ جِيادَ أخيليوس الخالِدَةَ التقى ساريبدون وَجْهًا لِوَجْهٍ ، فَانْدَفَعَ البَطَلانِ في صِراعٍ مَحْمومٍ ، وَراحَ

كُلٌ مِنْهُما يَكيلُ لِعَريمِهِ الطَّعَناتِ وَالضَّرَباتِ في عُنْفٍ وَقَسْوَةٍ ، كَأَنَّهُما صَقْرانِ جارِحانِ . وَلَمْ تَسْتَغْرِقْ هَذِهِ المَعْرَكَةُ الضَّارِيَةُ غَيْرَ لَحَظاتٍ قِصارٍ ، خَرَّ إِثْرَها ساربيدون صَريعاً ، فَقَدِ انْتَزَعَ پاتروكلوس روحَهُ بِطَرَفِ رُمْحِهِ . وَدَهَبَتْ نَفْسُ زيوس حَسَراتٍ عَلى ابْنِهِ الحَبيبِ . وَأَطَلَّ عَلى مَيْدانِ الوَغى ، وَنَفْسُهُ تَقْطُرُ أَلَماً وَحَسْرَةً ، وَصَدْرُهُ يَمْتَلِئُ عَزْماً وَتَصْميماً عَلى مُعاقَبَةِ پاتروكلوس عَلى فَعْلَتِهِ عِقاباً أَليماً .

ثَمِلَ پاتروكلوس بِما تَحَقَّقَ لَهُ مِنْ نَصْرٍ ، فَقادَ المورميدونيين يَتَعَقَّبُ الطُّرْوادِيِّينَ ، حَتّى بَلَغَ أَسْوارَ طُرْوادَة ، وَبَدا كَأَنَّ أَحَداً لا يَسْتَطيعُ أَنْ يَحولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اقْتِحامِ المَدينَةِ وَتَدْميرِها . وَلَكِنَّ الوَقْتَ لَمْ يَكُنْ قَدْ حانَ بَعْدُ لِسُقوطِها ، فَوَقَفَ إِلَهُ الشَّمْسِ أَبوللو ، وَاعْتَرَضَ طَريقَ پاتروكلوس ، وَمَنَعَهُ مِنْ أَنْ يَتَسَلَّقَ الأَسْوارَ ، وَيَقْتَحِمَ المَدينَةَ ، وَصاحَ فيهِ :

« أَيْ پاتروكلوس العَظيمُ ، عُدْ مِنْ حَيْثُ أَتَيْتَ ، فَلا سَبيلَ أَمامَكَ لِلْفَوْزِ بِطُرْوادَة . إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطيعَ اقْتِحامَها ، لا أَنْتَ وَلا حَتّى أَخيبيوس نَفْسُهُ ، وَهُوَ كَما تَعْلَمُ – أَشَدُّ مِنْكَ بَأْساً ، وَأَكْثَرُ قُوَّةً ؛ ذَلِكَ أَنَّ الآلِهَةَ لا تُريدُ ذَلِكَ . »

وَلَمْ يَجِدْ پاتروكلوس مَفَرّاً مِنَ الإِذْعانِ لِمَقالَةِ رَبِّ الشَّمْسِ ، وَالخُضوعِ لأَمْرِهِ ، وَلَمْ يَعُدْ في وُسْعِهِ غَيْرُ العَوْدَةِ إِلى السَّهْلِ القَريبِ مِنَ المَدينَةِ .

الفصل السابع
ضَياعُ الحَلَّةِ الحَرْبِيَّة

كادَتِ الحَيْرَةُ تَعْصِفُ بِعَقْلِ هِكْتور ، وَهُوَ واقِفٌ هُناكَ بِحِوارِ أَسْوارِ طُرْوادة ، تَتَقاذَفُهُ الأَفْكارُ : هَلْ يَخْرُجُ لِقِتالِ الإِغْريقِ فِي السَّهْلِ أَمْ يَنْكَفِئُ عَلى نَفْسِهِ ، وَيَعْتَصِمُ بِالأَسْوارِ هُوَ وَجَيْشُهُ ؟ وَما أَخْرَجَهُ مِنْ حَيْرَتِهِ إِلا الإِلَهُ أَبوللو ، الَّذي تَقَمَّصَ صورَةَ صَديقِ لِهكتور ، وَزَيَّنَ لَهُ الخُروجَ قائِلاً لَهُ : « إِنَّ أَبوللو يَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تَخْرُجَ لِقِتالِ الإِغْريقِ ، وَيَعِدُكَ بِالمُعاوَنَةِ ، وَلَنْ يَسْمَحَ لَهُمْ بِالانْتِصارِ عَلَيْكَ . »

عِنْدَئِذٍ فارَقَتْهُ الحَيْرَةُ ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِ السَّكينَةُ ، وَانْطَلَقَ وَجَيْشُهُ مِنْ وَرائِهِ لِمُلاقاةِ الإِغْريقِ فِي السَّهْلِ ، حَيْثُ دارَتْ رَحَى المَعْرَكَةِ .

وما إِنْ لَمَحَ باتروكلوس هِكتور حَتّى قَفَزَ إِلى الأَرْضِ مِنَ العَرَبَةِ ، وَفي يَدِهِ اليُسْرى رُمْحُهُ ، يَهُزُّهُ مُلَوِّحاً بِهِ ، وَمُتَوَعِّداً غَريمَهُ .

وَكَذَلِكَ أَسْرَعَ هِكتور بِالنُّزولِ مِنْ عَرَبَتِهِ ، مُمْتَلِئاً ثِقَةً بِوَعْدِ أَبوللو لَهُ . وَاحْتَدَمَ الصِّراعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ ، كُلٌّ مِنْهُما يَوَدُّ أَنْ يَفْتِكَ بِصاحِبِهِ فَتْكاً ذَريعاً . وَراحَ باتروكلوس يُداهِمُ هِكتور بِقُوَّةٍ وَشَجاعَةٍ ، وَهِكتور يُداوِرُهُ وَيُناوِرُهُ ، وَيُفاجِئُهُ بِضَرَباتٍ قَوِيَّةٍ ؛ وَلَكِنَّها لا تَبْلُغُ مِنْهُ شَيْئاً ؛ وَإِذا بِأَبوللو يَهُبُّ لِحَسْمِ النِّزاعِ ، فَيَضْرِبُ باتروكلوس عَلى رَأْسِهِ ضَرْبَةً عَنيفَةً شَديدَةً ، أَطارَتْ خَوْذَتَهُ ، وَجَعَلَتْها تَهْوي إِلى الأَرْضِ .. هَذِهِ الخَوْذَةُ الَّتي لَمْ تَعْرِفْ مِنْ قَبْلُ إِلى الأَرْضِ طَريقاً ؛ لأَنَّها كانَتْ دائِماً فَوْقَ رَأْسِ أَخيليوس الَّذي لا يُقْهَرُ . لَقَدْ كانَتْ ضَرْبَةُ أَبوللو عَنيفَةً شَديدَةً جَعَلَتْ باتروكلوس يُحِسُّ كَأَنَّ الأَرْضَ تَدورُ بِهِ ، كَما جَعَلَتْ جِسْمَهُ يَتَرَنَّحُ مِنْ شِدَّةِ الدُّوارِ ، مِمّا أَتاحَ الفُرْصَةَ لِهكتور أَنْ يُعاجِلَهُ بِضَرْبَةٍ أُخْرى أَوْدَتْ بِهِ وَسَقَطَ عَلى الأَرْضِ يَلْفِظُ آخِرَ أَنْفاسِهِ . وَلَمْ يُمْهِلْهُ هِكْتور ؛ وَإِنَّما اعْتَلى صَدْرَهُ ، وَهُوَ يَقولُ لَهُ :

« أَيْ باتروكلوس ، مُنْذُ قَليلٍ كُنْتَ تَحْسِبُ أَنَّكَ سَتَقْهَرُ طُرْوادَةَ ، وَتَسوقُ بِساعِدَيْكَ سَبايا دَليلاتٍ إِلى بِلادِكُمْ ، وَها أَنْتَ ذا الآنَ تَرْقُدُ جُثَّةً هامِدَةً لا حَراكَ بِها . حَقّا لَقَدْ كانَ أَخيليوس أَبْعَدَ ما يَكونُ عَنِ الحِكْمَةِ حينَ أَرْسَلَكَ لِقِتالِنا ! »

وَفي صَوْتٍ خَفيضٍ مُتَحَشْرِجٍ ، رَدَّ عَلَيْهِ باتروكلوس : « أَيْ

هِكتور ، لا تَغْتَبِطْ كَثيراً ، فَإِنَّكَ سَتَلْحَقُ بي بَعْدَ قَليلٍ ، وَلَنْ يَدَعَكَ أخيليوس غَيْرَ حُثَّةٍ هامِدَةٍ بَعْدَ قَتْلي ! لَقَدْ سَلَّمَتْني الآلِهَةُ لَكَ فَريسَةً سائِغَةً ، وَعاجَلَني أبوللو بِالصَّرْبَةِ الَّتي أَوْدَتْ بي ، فالفَضْلُ في قَتْلي يَرْجِعُ لَهُ لا لَكَ ما كُنْتُ أَبداً يا هكتور خائِفاً أَنْ أُلْقاكَ في مَعْرَكَةٍ مُتَكافِئَةٍ ؛ وَلَكِنَّها إِرادَةُ الآلِهَةِ ! لَسْتَ أَنْتَ الَّذي قَضَى عَلَيَّ اليَوْمَ ، وَسَتَلْقَى جَزاءَكَ مِنْ أخيليوس .»

ثُمَّ أَسْلَمَ باتروكلوس – البَطَلُ الشَّابُّ – الرُّوحَ ، بَعْدَ أَنْ أَبْدى في حَوْمَةِ الوَغى بُطولاتٍ رائِعَةً ، وَقاتَلَ قِتالاً مَجيداً .

وَلَمْ يَتَوانَ هِكتور عَن انْتِزاعِ الحُلَّةِ الحَرْبِيَّةِ الَّتي يَرْتَديها باتروكلوس ، حُلَّةِ أخيليوس الذّائِعَةِ الصّيتِ ، ذاتِ الوَهَجِ الَّذي يَكادُ يَخْطِفُ الأَبْصارَ . وَحاوَلَ أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلى العَرَبَةِ وَجِيادِه الحالِدَةِ ؛ لَكِنَّ أوتوميدون تَقَدَّمَ مُسْرِعاً ، وَنَحّى الجِيادَ الخالِدَةَ وَأَنْقَذَها مِنَ الاعْتِصابِ ، وَعادَ بِها مُسْرِعاً إِلى أخيليوس العَظيمِ .

أَشاحَ مينيلاوس بِوَجْهِهِ بَعيداً ، وَهُوَ يَرَى باتروكلوس يَسْقُطُ صَريعاً ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَوانَ عَنِ الاسْتِنْجادِ بِالإِغريقِ ؛ لِيَقِفوا مَعَهُ صَفّاً واحِداً ، يَحْمي جَسَدَ باتروكلوس البَطَلِ الشَّابِّ ، وَيَحولُ بَيْنَ الطُّرْوادِيّينَ وَبَيْنَ أَنْ يُمَثِّلوا بِهِ ، وَيَنْتَهِكوا حُرْمَتَهُ .

وَكانَ هِكتور قَدْ تراجَعَ مسافَةً غَيْرَ بَعيدَةٍ عَنِ الجُثَّةِ المُمَدَّدَةِ فَوْقَ الأَرْضِ ؛ كَيْ يَرْتَدِيَ حُلَّةَ أخيلّيوس الحَرْبِيَّةَ ، الَّتي سَلَبَها مِنْ فَوْقِ جَسَدِ باتروكلوس ، وَلِذَلِكَ أَطْلَقَ عَلَيْهِ جلاوكوس الغاضِبُ لَقَبَ « الجَبانِ » .

عادَ هكتور إلى الجُثَّةِ المُمَدَّدَةِ فَوْقَ الأَرْضِ ؛ كَيْ يَنْتَشِلَها ؛ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ الوُصولَ إِلَيْها ؛ إِذْ سُدَّتِ الطَّريقُ نَحْوَها ، فَقَدْ قامَ مِنْ دونِها سِياجٌ مَنيعٌ حَصينٌ مِنَ الرِّماحِ الإغْريقِيَّةِ الحادَّةِ ، يَمْنَعُ أَيَّ طُرْوادِيٍّ مِنْ بُلوغِها . وَدارَتِ المَعْرَكَةُ حامِيَةً بَيْنَ الفَريقَيْنِ مِنْ خَلْفِها وَأَمامَها ، وَعَنْ يَمينِها وَشِمالِها : كُلُّ فَريقٍ يَسْتَميتُ لِلظَّفَرِ بِها ، الإغْريقُ يُريدونَ إِنْقاذَ جُثَّةِ بَطَلِهِمُ الشَّابِّ لِتَكْريمِها في مُعَسْكَرِهِمْ ، وَالطُّرْوادِيّونَ يُريدونَ الاسْتيلاءَ عَلَيْها لِلتَّمْثيلِ بِها ، وَإِلْقائِها طَعاماً لِلْكِلابِ ؛ بِكايَةً في الإغْريقِ ، وَتَحْقيراً لَهُمْ ، وَازْدِراءً بِهِمْ .

وَكانَ أخيليوس – آنَذاكَ – فَوْقَ ظَهْرِ سَفينَتِهِ ، يَشْهَدُ سَيْرَ المَعْرَكَةِ الَّتي اسْتَعَرَ أُوارُها ؛ وَلَكِنَّهُ بَعْدَ قَليلٍ لاحَظَ أَنَّ الإغْريقَ يَتَسارَعونَ عائِدينَ إِلى مُعَسْكَرِهِمْ في فَوْضَى وَاضْطِرابٍ مُذْهِلَيْنِ ، وَهُوَ لا يَدْري لِهَذا سَبَباً . إِنَّهُ يَشْعُرُ بِالهَمِّ يَجْثُمُ عَلى صَدْرِهِ ، وَبِالمَرارَةِ تَسْتَ في قَلْبِهِ إِنَّهُ يُحِسُّ نَفْسَهُ مُنْقَبِضَةً مُسْتَوْحِشَةً.

إِنَّهُ يَخْشَى عَلى باتروكلوس الهَلاكَ .

وَلَمْ تَمْضِ غَيْرُ لَحَظاتٍ حَتّى جاءَهُ صَديقٌ يَسْعى ، وَقَدْ عَلا نَشيجُهُ ، وَفاضَتْ دُموعُهُ ، فَأَحَسَّ أخيليوس عِنْدَ مَرْآهُ أَنَّ الخَطَرَ يَزْحَفُ إِلَيْهِ زَحْفاً سَريعاً ، وَأَدْرَكَ أَنَّ في الأَمْرِ سِرّاً ، وَأَنَّ وَراءَ الرَّجُلِ نَبَأً خَطيراً . وَما إِنْ بَلَغَهُ الرَّجُلُ حَتّى قالَ بِصَوْتٍ تَخْنُقُهُ العَبَراتُ ، وَيَقْطَعُهُ النَّحيبُ :

« أَيْ أخيليوس ، إِنَّني أَحْمِلُ إِلَيْكَ نَبَأً غَيْرَ سارٍّ ؛ لَقَدْ سَقَطَ باتروكلوس مُخَضَّباً بِدِمائِهِ ، بَعْدَ أَنْ قاتَلَ قِتالَ الأَبْطالِ ، وَانْتَزَعَ هكتور حُلَّتَهُ الحَرْبِيَّةَ – حُلَّتَكَ الذّائِعَةَ الصّيتِ – وَالقِتالُ مُحْتَدِمٌ

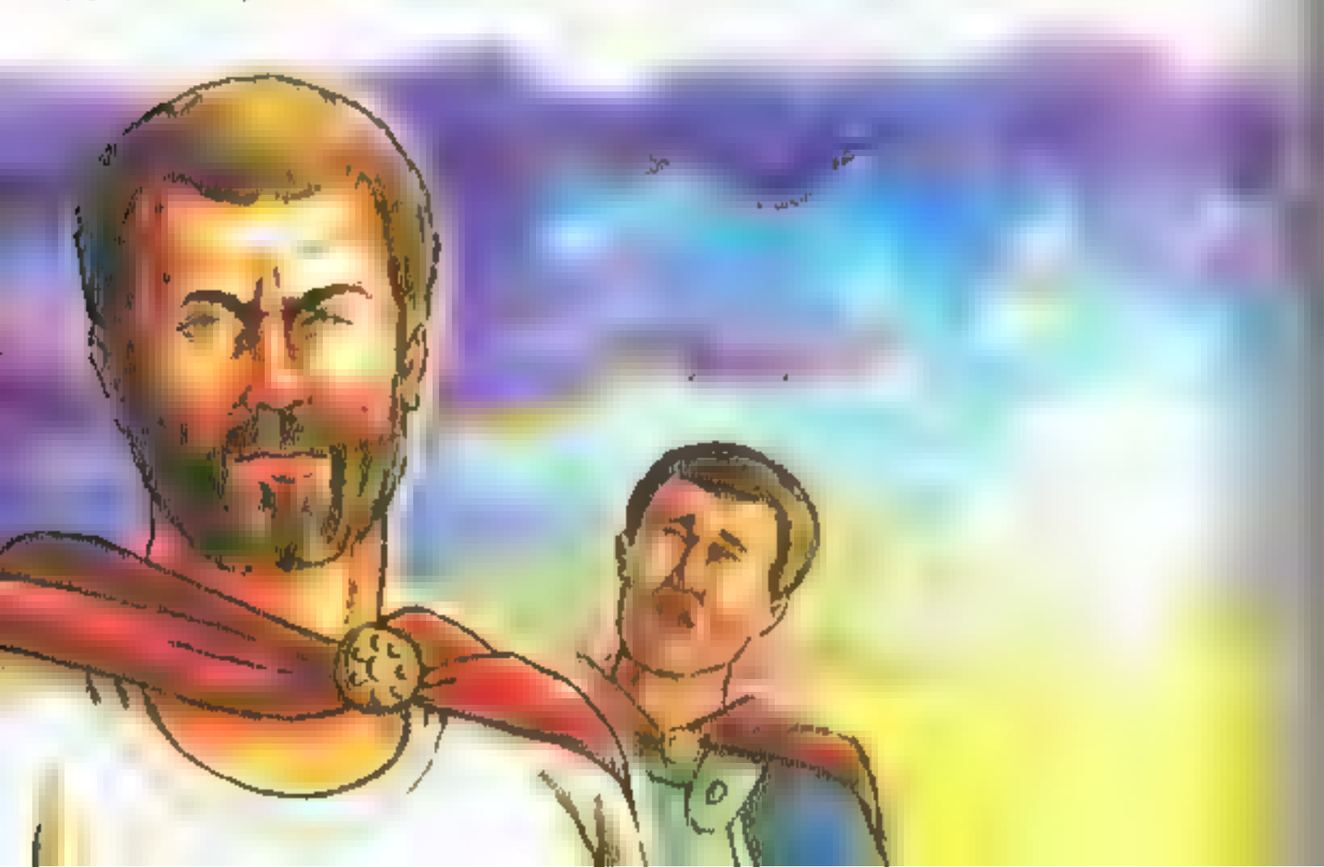

الآنَ بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ حَوْلَ جَسَدِهِ العارِي .»

نَدَّتْ عَنْ أخيليوس صَرْخَةٌ مُدَوِّيَةٌ مُفْزِعَةٌ ، صَكَّتْ مَسامِعَ أُمِّهِ ثيتيس ، فَهُرِعَتْ إِلَيْهِ ، تَسْأَلُهُ ما سَبَبُ حُزْنِهِ . إِنَّ الإِغْرِيقَ يُعانونَ مُعاناةً مُؤْلِمَةً مِنْ جَرّاءِ إِهانَتِهِمْ لَهُ .

« أَيْ أَماهُ ، لَيْسَ الأَمْرُ أَمْرَ كِبْرِياءَ مَجْرُوحَةٍ ، وَلا كَرامَةٍ مَحْدُوشَةٍ ، فَذَلِكَ كُلُّهُ هَيِّنٌ الآنَ ، وَلا يَضيرُني . إِنَّما هُوَ صَديقي باتروكلوس الَّذي أَصْفَيْتُهُ وُدّي ، وَآثَرْتُهُ عَلى غَيْرِهِ مِنْ زُمَلائي . إِنَّ هِكتور انْتَزَعَ روحَهُ بِطَرَفِ رُمْحِهِ ، وَلَنْ يَهْدَأَ لي بالٌ حَتّى أُثْأَرَ لَهُ ، وَأَنْتَقِمَ مِنْ هِكتور ذاكَ الَّذي قَتَلَهُ .»

« وَلَدي الحَبيبَ ، إِنَّ عَلَيْكَ أَنْ تَشْكُرَ الآلِهَةَ ، فَلَوْ أَنَّكَ قَتَلْتَ هِكتور لأَسْرَعْتَ في اللَّحاقِ بِهِ إِلى المَوْتِ .»

وَفي غَضَبٍ شَديدٍ ، انْفَجَرَ أخيليوس : « لَيْتَني أَموتُ الآنَ ! فَما قيمَةُ الحَياةِ بَعْدَ فَقْدِ أَعَزِّ الأَصْدِقاءِ ؟ إِنَّ باتروكلوس يَرْقُدُ هُناكَ جُثَّةً هامِدَةً فَوْقَ شاطِئٍ عَريبٍ ، دونَ أَنْ تَمْتَدَّ يَدي إِلَيْهِ بِالعَوْنِ ، وَلا يَدُ أَيِّ إِغْرِيقِيٍّ آخَرَ .

« تَبًّا لِهَذِهِ الأَحْقادِ السَّخيفَةِ الَّتي أَوْقَفَتْني هَذا المَوْقِفَ ، وَجَعَلَتْني أَقْعُ في مَكاني هَذا خامِلاً عاجِزًا عَنْ أَمُدَّ لِصَديقي يَدًا .

إِنَّني سَأَنْسَى هَذِهِ الأَحْقادَ ، وَسَأَعودُ إِلى القِتالِ ؛ لأَنْتَقِمَ مِنْ هِكتور .. ذاكَ الَّذي قَتَلَ صَديقي .»

« أَيْ وَلَدي أخيليوس ، لَنْ يَسْتَطيعَ أَحَدٌ لَوْمَكَ عَلى وَفائِكَ لِصاحِبِكَ ، وَثَأْرِكَ لَهُ ؛ بَلْ إِنَّ ذَلِكَ دَليلُ نُبْلِكَ وَأَصالَتِكَ . وَلَكِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ الطُّرْواديِّينَ قَدِ اسْتَوْلَوْا عَلى حُلَّتِكَ الحَرْبِيَّةِ ، وَهِيَ تَسْتَقِرُّ الآنَ فَوْقَ مَنْكِبَيْ هِكتور . تَرَيَّثْ يَوْمًا واحِدًا حَتّى أَسْتَطيعَ تَعْويضَكَ عَنْها . سَأُحْضِرُ لَكَ غَدًا حُلَّةً رائِعَةً أَبْدَعَتْها يَدُ فَنّانٍ صَناعٍ ، هُوَ الرَّبُّ هيفايستوس ، صانِعُ المَعادِنِ القادِرِ .»

وَانْصَرَفَتْ ثيتيس وَقَدْ خَلَّفَتْ وَراءَها ابْنَها أخيليوس ، يَئِنُّ قَلْبُهُ تَحْتَ وَطْأَةِ الحُزْنِ المُقيمِ ، وَلا يُؤْنِسُهُ في لَيْلِهِ الطَّويلِ الكَئيبِ غَيْرُ نَحيبِهِ وَنَشيجِهِ .

الفصل الثامن

مَقْتَلُ هُكتور

باتَ أُخيليوس ، لَمْ يَغْمَضْ لَهُ جَفْنٌ ، كَأَنَّما يَرْقُدُ عَلى فِراشٍ مِنَ الشَّوْكِ . نَبا بِهِ المَضْجَعُ ، وأَرَّقَهُ الحُزْنُ عَلى صَديقِهِ پاتروكلوس، وَنَغَّصَهُ التَّفكيرُ في أَحْكَمِ الطُّرُقِ وأَبْشَعِهَا لِلانْتِقامِ لَهُ .

وما إنْ أَشْرَقَ الصَّباحُ حَتَّى كانَتْ ثيتيس واقِفَةً إلى جِوارِ ابْنِها أخيليوس تُهدي إلَيْهِ الحُلَّةَ الحَرْبِيَّةَ الَّتي وعَدَتْهُ بِها . وكانت حُلَّةً لامِعَةً بَرَّاقَةً ، تَتَوَهَّجُ تَحْتَ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ كَأَنَّها نارٌ مُحْرِقَةٌ ، وَتَتَلألأُ كَأَنَّها قُرْصٌ مِنَ الذَّهَبِ . لَقَدْ فاقَتْ حُلَّتُهُ السَّابِقَةَ بَريقًا وَلَمَعانًا ، حَتَّى إنَّ المورميدوبيين أَنْفُسَهُمْ رُوِّعوا لِمَرْآها ، وَذَهِلوا لِمُشاهَدَتِها .

وارْتَدَى أخيليوس حُلَّتَهُ الحَرْبِيَّةَ الجَديدَةَ ، وَمَضَى إلى مُعَسْكَرِ الإغْريقِ ، وَعَلى وَجْهِهِ أمارَاتُ الجِدِّ الصَّارِمِ ، فَما يَحْذُرُ بأخيليوس أَنْ يَتَوانى عَنِ الثَّأْرِ لأَعَزِّ أَصْدِقائِهِ ، أَوْ يَتراخى في الانْتِقامِ لَهُ .

تَناهَى إلى الإغْريقِ صَوْتُ أخيليوس يَدْعوهُمْ إلى لِقائِهِ ، فَهَبّوا مُسْرِعينَ يُجيبونَهُ ، حَتَّى القادَةُ الجَرْحَى مِنْهُمْ جاءوهُ : أغاممنون و مينيلاوس و أوديسيوس و ديدموديس . وَما إنِ اكْتَمَلَ جَمْعُهُمْ حَتَّى قالَ أخيليوس :

« أَيْ أغاممون ، لَيْسَ مِنَ الحِكْمَةِ أَنْ نَتعارَكَ فيما بَيْنَنا ، وَنَدَعَ الطُّرْوادِيِّينَ يَفْتِكونَ بِقَوْمِنا . دَعْنا نَنْسَ الماضي بِكُلِّ ما كانَ فيهِ ، وَنُقْبِلْ عَلى المَعْرَكَةِ القادِمَةِ بِقُلوبٍ صافِيَةٍ . لَقَدْ نَسيتُ كُلَّ ماحَدَثَ ، وَهَأَنَذا أَمُدُّ يَدي إلَيْكَ ، وَأُعيدُ جُسورَ المَوَدَّةِ بَيْني وَبَيْنَكَ قَوِيَّةً ثابِتَةً كَما كانَتْ . هَيّا بِنا نُعِدُّ الإغْريقَ لِلْحَرْبِ . »

ورَحَّبَ الإغْريقُ تَرْحيبًا حارًّا بِعَودَةِ أخيليوس إلَيْهِمْ . وَبَدا التَّأَثُّرُ واضِحًا عَلى وَجْهِ أغاممنون ، الَّذي قالَ :

« أَيْ أخيليوس العَظيمُ ، لَقَدْ جانَبَني الصَّوابُ حينَ وَجَّهْتُ إلَيْكَ الإهانَةَ ، وَكَمْ نَدِمْتُ عَلى ما بَدَرَ مِنّي في حَقِّكَ . وَالآنَ كَمْ أنا مَسْرورٌ بِاسْتِعادَةِ صَداقَتي بِكَ ! وَسأُفاجِئُكَ بِهَدايا كَثيرَةٍ ثَمينَةٍ ؛ تَعْويضًا لِعَوْدَةِ الصَّفاءِ وَالوِئامِ ، وَسَتَكونُ مِنْ بَيْنِها بريسايس الجَميلَةُ ؛ كَيْ تُصْبِحَ أَرْجاءَ خَيْمَتِكَ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ نَتَجَهَّزُ لِلْمَعْرَكَةِ . »

وأشْرَقَتْ أساريرُ أخيليوس العَظيم ، وَقالَ لأعمامون : « لَقَدْ تَوَطَّدَتِ الصَّداقَةُ بَيْنَنا ، وَأشْكُرُ لَكَ هَداياكَ . هَيّا بِنا نُجَهِّزِ الرِّجالَ لِلْمَعْرَكَةِ ، وَعَلى كُلٍّ مِنْكُمْ أنْ يَحْذُوَ حَذْوي ، وَيَصْنَعَ مِثْلَ صَنيعي . »

بادَرَ أخيليوس العَظيمُ إلى مُلاقاةِ الطُّرْوادِيّينَ ، فَما بَقِيَ إلَهٌ في جَبَلِ أوليمبوس إلّا وَقَدْ هَبَطَ إلى الأرْضِ ، وَاشْتَرَكَ في المَعْمَعَةِ ، كَما تَقولُ الأناشيدُ القَديمَةُ .

وقاتَلَ أخيليوس أرْوَعَ قِتالٍ ، وَلَمْ تَصِلْ يَدُهُ إلى طُرْوادِيٍّ إلّا أجْهَزَ عَلَيْهِ ، وَدَفَعَ بِروحِهِ إلى عَياهِبِ العالَمِ السُّفْلِيِّ الرَّهيبِ ، وَلَمْ تَكُنْ جَميعُ أسْلِحَةِ الأعْداءِ دِلاصَ غَناءٍ في صَدِّهِ عَنِ الفَتْكِ بِهِمْ ، فَلَمْ يَجِدوا سَبيلاً أمامَهُمْ غَيْرَ تَوْلِيَةِ الأدْبارِ ، والفِرارِ إلى شاطِئِ النَّهْرِ ، وَأخيليوس يَتَعَقَّبُهُمْ : فَمِنْهُمْ مَنْ بَلَغَهُ فَقَتَلَهُ ، وَمِنْهُم مَنْ أَلْقى بِنَفْسِهِ في مِياهِ النَّهْرِ تَحْمِلُهُ كَما تَشاءُ ، وَمِنْهُمْ قَليلٌ كُتِبَتْ لَهُ النَّجاةُ .

وكانَ پرياموس المَلِكُ العَجوزُ يَشْهَدُ سَيْرَ المَعْرَكَةِ مِنْ فَوْقِ قِمَّةِ قَلْعَةٍ عالِيَةٍ ، فَلَمّا رَأى انْدِحارَ الطُّرْوادِيّينَ أمامَ أخيليوس العَظيمِ ، وَفِرارَهُمْ إلى شاطِئِ النَّهْرِ أمَرَ الحُرّاسَ أنْ يَفْتَحوا أبْوابَ المَدينَةِ

أمامَ هَذِهِ الفُلولِ الهارِبَةِ ؛ لِتَحْتَمِيَ بِحُصونِها ، عَلَّها يَوْماً تَسْتَعيدُ قُوَّتَها ، وَتُحَقِّقُ لِوَطَنِها ما أعْجَزَها اليَوْمَ تَحْقيقُهُ .

وَ وَلّى كَثيرٌ مِنْ هَذِهِ الفُلولِ الهارِبَةِ وَجْهَهُ شَطْرَ أبْوابِ المَدينَةِ ، يُحاوِلونَ النَّجاةَ مِنْ لَظى الحَرْبِ . وكانَتْ حُلوقُهُمْ ظامِئَةً ، وَأجْسادُهُمْ مُنْهَكَةً ، قَدْ خُضِّبَتْ بِالدِّماءِ ، وَلُطِّخَتْ بِالوَحَلِ . وأخيليوس العَظيمُ عَلى رَأسِ الجَيْشِ الإغْريقِيِّ يُطارِدُ هَذِهِ الفُلولَ ، وَيَعْمَلُ فيها قَتْلاً وَتَجْريحاً .

وَأوى مَنْ أفْلَتَ مِنَ الطُّرْوادِيّينَ المُنْدَحِرينَ إلى المَدينَةِ ، يَتَحَصَّنونَ بِأسْوارِها ، ما عَدا هِكتور الَّذي ظَلَّ واقِفاً إلى جِوارِ السّورِ ، وَقَدْ أسْنَدَ إلَيْهِ دِرْعَهُ .

وَصاحَ بِهِ أبوهُ المَلِكُ پرياموس ، يُحَذِّرُهُ عاقِبَةَ البَقاءِ خارِجَ الأسْوارِ ؛ فَقَدْ كانَ الرَّجُلُ يَشْهَدُ حُلَّةَ أخيليوس البَراقَةَ المُتَوَهِّجَةَ مِنْ بَعيدٍ ، وَيُدْرِكُ أنَّهُ يُلِحُّ في البَحْثِ عَنْ هِكتور ، وَأنَّهُ يوشِكُ أنْ يَقْتَرِبَ مِنَ الأسْوارِ فَيَلْقاهُ ، فَيَحْدُثُ ما لا تُحْمَدُ عُقْباهُ .

لَكِنَّ هِكتور لَمْ يُعِرْ تَحْذيرَ أبيهِ المَلِكِ أُذُناً مُصْغِيَةً ، وَلَمْ يَسْتَجِبْ لِنِداءِ قَلْبِهِ الأبَويِّ ، الَّذي تَشُقُّ عَلَيْهِ التَّضْحِيَةُ بِأحَبِّ أبْنائِهِ إلَيْهِ . فَظَلَّ – عَلى عِنادِهِ – واقِفاً في شُموخٍ لا يَتَحَوَّلُ عَنْ مَكانِهِ ،

يَتَرَقَّبُ وُصولَ أخيليوس ، وَكَأَنَّما يَتَعَجَّلُهُ . وما إنْ أبْصَرَهُ في حُلَّتِهِ الحَرْبِيَّةِ اللامِعَةِ المُتَوَهِّجَةِ يَزْهو بِها ، وَيَتيهُ كَأَنَّهُ إلَهُ الحَرْبِ نَفْسُهُ حَتَّى طارَتْ نَفْسُهُ شَعاعًا ، وَ وَدَّ لَوْ أمْكَنَهُ الفِرارُ مِنْ أمامِهِ ، وَاللِّحاقُ بِإخْوانِهِ داخِلَ الأسْوارِ . وَما أثْبَتَهُ في مَكانِهِ إلّا خَشْيَةُ العارِ ، فَتَماسَكَ وَأظْهَرَ الشَّجاعَةَ ، وَتَحَدّى أخيليوس في صَوْتٍ عالي النَّبْرَةِ - يَسْتُرُ بِهِ ضَعْفَهُ وَخَوْفَهُ - أنْ يُنازِلَهُ .

وَرَمى أخيليوس رُمْحَهُ فَأخْطَأ هَدَفَهُ ، وَرَمى هِكتور فَانْزَلَقَ رُمْحُهُ فَوْقَ دِرْعِ أخيليوس العَظيمِ ، وَقَدِ انْشَطَرَ شَطْرَيْنِ . حينَئِذٍ هاجَ هِكتور هِياجًا عَنيفًا ، وَاسْتَلَّ سَيْفَهُ مِنْ عِمْدِهِ ، وَهَجَمَ عَلى أخيليوس ، الَّذي عاجَلَهُ بِضَرْبَةِ سَيْفٍ في عُنُقِهِ ، أرْدَتْهُ قَتيلاً .

وما إنْ سَقَطَ هِكتور عَلى الأرْضِ جُثَّةً هامِدَةً حَتَّى اعْتَلى أخيليوس صَدْرَهُ ، قائِلاً لَهُ : « هَكَذا أيُّها الطُّرْوادِيُّ المُتَغَطْرِسُ تَكونُ نِهايَتُكَ . وما كانَ لي أنْ أتْرُكَكَ تَسْتَمْتِعُ بِقَتْلِكَ پاتروكلوس أكْثَرَ من يَوْمٍ واحِدٍ .»

وَفي صَوْتٍ مُتَحَشْرِجٍ تَوَسَّلَ هِكتور لأخيليوس أنْ يَتْرُكَ جَسَدَهُ لأصْدِقائِهِ ، يُوارونَهُ الثَّرى ، فَنَهَرَهُ أخيليوس قائِلاً : « لا تَتَحَدَّثْ عَنْ مُواراةِ جَسَدِكَ ، فَلَنْ تَسْتَطيعَ قُوَّةٌ في الأرْضِ أنْ تُثْنيني عَنْ إلقائِهِ

طَعاماً لِلْكِلابِ .»

وَفي صَوْتٍ ضَعيفٍ مُتَهالِكٍ قالَ هِكتور : « أَعْرِفُ أَنَّهُ لَنْ تُثْنِيَكَ قُوَّةٌ عَنْ عَزْمِكَ ، وَلَنْ تَحْمِلَكَ عَلى تَغْيير رَأْيِكَ ؛ وَلَكِنّي أُحَذِّرُكَ غَضَبَ الآلِهَةِ ، فَلَنْ تَلْبَثَ طَويلاً حَتّي يَظْفَرَ بِكَ پاريس وَيُجَنْدِلُكَ صَريعاً ، عَلى الرَّغْمِ مِمّا يَمْلأُ إهابَكَ مِنْ زَهْوٍ وَغُرورٍ !»

وقَضَى هِكتور نَحْبَهُ ، فَخَلَعَ أُخيليوس العَظيمُ حُلَّتَهُ الحَرْبِيَّةَ اللامِعَةَ المُتَوَهِّجَةَ ، وَأَمَرَ الجُنودَ الإغْريقَ بِحَمْلِ جُثْمانِ هِكتور ، وَالعَوْدَةِ بِهِ إلى المُعَسْكَرِ ، حَتّى يَرى فيهِ رَأْيَهُ .

لَكِنَّ پرياموس المَلِكَ العَجوزَ – وَقَدْ هَدَّهُ الحُزْنُ عَلى ابْنِهِ الحَبيبِ تَجاسَرَ فيما بَعْدُ ، وَسَعى بِنَفْسِهِ إلى مُعَسْكَرِ الإغْريقِ ، وَالتَقى أخيليوس العظيمَ ، وَرَجاهُ أَنْ يَدْفَعَ إلَيْهِ جُثَّةَ هِكتور أَحَبِّ أَبْنائِهِ إلَيْهِ – لِيقومَ بِمَراسِمِ دَفْنِهِ كَما يَليقُ .

وراقَتْ أخيليوس العَظيمَ شَجاعَةُ پرياموس ، الَّتي اسْتَمَدَّتْ قُوَّتَها مِنَ الحُزْنِ العَنيفِ ، وَأَشْفَقَ عَلى المَلِكِ العَجوزِ ، فَلَمْ يَتَرَدَّدْ في تَلْبِيَةِ رَغْبَتِهِ ، وَإجابَتِهِ إلى طِلْبَتِهِ ، تَقْديراً لِجُرْأَتِهِ وَشَجاعَتِهِ ، حَتّى يَحْظى هِكتور البَطَلُ بِإقامَةِ الطُّقوسِ الجَنائِزِيَّةِ المُلائِمَةِ ، وَيُشَيَّعَ بِما يَليقُ وَمَكانَتَهُ السّامِيَةَ .

الفصل التاسع

عَقِبُ أخيليوس

تَراكَمَ الهَمُّ عَلى صُدورِ الطُّرْوادِيِّينَ ، فَما مِنْهُمْ إلا مَحْزونٌ أَمَضَّهُ الحُزْنُ ، أَوْ خائِفٌ مَزَّقَهُ الخَوْفُ .. ذَلِكَ بَعْدَ مَصْرَعِ هِكتور البَطَلِ . وَفي ظِلالِ هَذا الحُزْنِ المُقيمِ ، وَهَذا الخَوْفِ المُرَوِّعِ اجْتَمَعوا ؛ لِيَتَدَبَّرُوا أَمْرَهُمْ ، وَيَتَشاوَروا فيما يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَفْعَلوهُ .

قالَ أَحَدُ مُسْتَشاري المَلِكِ پرياموس : « إنَّهُ لَيْسَ مِنَ الحِكْمَةِ أَنْ نَمْضِيَ في القِتالِ قُدُمًا ، بَعْدَ أَنْ سَقَطَ هِكتور البَطَلُ . وَما زالَ أخيليوس العَظيمُ يُهَدِّدُنا بِالوَيْلِ وَالثُّبورِ وَعَظائِمِ الأمورِ ، فَمِنَ الأَجْدَرِ بِنا أَنْ نُغادِرَ مَدينَتَنا طَرْوادة ، وَنُسَلِّمَها لِلإغْريقِ ، عَلى الرَّغْمِ مِما سَعانيهِ مِنْ أَسًى وَمَرارَةٍ لِفِراقِ وَطَنِنا ، وَمِنْ ذُلٍّ وَانْكِسارٍ لانْسِحابِنا مِنَ المَعْرَكَةِ . وَلَكِنَّ الصَّوابَ أَنْ نُبْقِيَ عَلى الأَحْياءِ مِنّا ، وَلا نُتيحُ لِلإغْريقِ أَنْ يُزْهِقوا أَرْواحَهُمْ .»

لَكِنَّ المَلِكَ پرياموس كانَ عَلى غَيْرِ هَذا الرَّأي ، فَقالَ : « إنَّ واجِبَنا يُحَتِّمُ عَلَيْنا أنْ نَتَشَبَّثَ بِمَدينَتِنا ؛ فَلْنَمْكُثْ بِها حَتّى تَأتِيَنا النَّجْدَةُ بِقِيادَةِ صَديقِنا المَلِكِ ميمنون ، مَلِكِ أثيوبيا . وَإنّي لَكَبيرُ الأَمَلِ في أنَّهُ سَيَكونُ بَيْنَنا في وَقْتٍ قَريبٍ . أمّا إذا أحْدَقَتْ بِنا الأَخْطارُ ، قَبْلَ أنْ يُدْرِكَنا الغَوْثُ ، فَما عَلَيْنا بَأْسٌ في أنْ نَموتَ دِفاعًا عَنْ دِيارِنا . إنَّهُ مِنَ الخَيْرِ لَنا أنْ نَموتَ كِرامًا أعِزّاءَ مِنْ أنْ نَعيشَ جُبَناءَ أذِلّاءَ .»

رَدَّ عَلَيْهِ پوليداماس ، العاقِلُ الحَكيمُ ، الَّذي أنْهَكَتْهُ الحَرْبُ : « إذا كانَ المَلِكُ ميمنون قادِمًا حَقًّا ، فَإني أثِقُ في قُدْرَتِهِ وَكِفايَتِهِ ، وَلَكِنْ تُساوِرُني بَعْضُ الشُّكوكِ في قُدْرَتِهِ عَلى مُواجَهَةِ أخيليوس العَظيم . وَمِنْ ثَمَّ فَالرَّأيُ عِنْدي – وَإنْ كُنّا في آخِرِ اللَّيْلِ – أنْ نَرُدَّ هيليني لِلإغْريقِ ، وَنَرُدَّ عَلَيْهِمُ الكُنوزَ المَنْهوبَةَ ، وَبِذَلِكَ نُوقِفُ هَذا الصِّراعَ الدّامِيَ الرَّهيبَ ، بَعْدَ أنْ قَطَعْنا أسْبابَهُ .»

وَهَدأتْ نُفوسُ جَميعِ الطُّرْوادِيّينَ ، وَاطْمَأنَّتْ قُلوبُهُمْ لِهَذِهِ الكَلِماتِ العاقِلَةِ ، الَّتي كانوا يَعْتَقِدونَ صَوابَها ، وَلا يَجْرُءونَ عَلى البَوْحِ بِها في وَجْهِ مَلِكِهِمْ پرياموس وَابْنِهِ پاريس .

لَكِنَّ پاريس زَلْزَلَ هَذا الهُدوءَ ، وَنَغَّصَ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الطُّمَأنينَةَ

عِنْدَما أطْلَقَ صَيْحَةً غاضِبَةً مُنْذِرَةً مُتَوَعِّدَةً :

« أيْ پوليداماس ، ما أجْبَنَكَ في ساحَةِ الوَغى ! إنَّ نَصيحَتَكَ هَذِهِ هِيَ عَيْنُ الحَماقَةِ . فَلْتَقْبَعْ أنْتَ في بَيْتِكَ ذَليلاً ، أمّا باقي الطُّرْوادِيّينَ فَسَأقودُهُمْ إلى حَوْمَةِ القِتالِ ، وَلَسَوْفَ نَفوزُ بِالنَّصرِ المُبينِ .» لَكِنَّ هَذا القَوْلَ لَمْ يَفُتَّ في عَضُدِ پوليداماس ، وَلَمْ يُزَعْزِعْ يَقينَهُ بِمَقالَتِهِ ؛ وَمِنْ ثَمَّ أرْدَفَ يَقولُ لِپاريس :

« إنَّ رُعونَتَكَ وَطَيْشَكَ هُما اللَّذانِ جَلَبا عَلَيْنا ما نَحْنُ فيهِ مِنْ بَلاءٍ . إنَّ خُطَّتَكَ الَّتي تَتَصايَحُ بِها سَوْفَ تَعودُ عَلَيْنا بِالخَرابِ وَالدَّمارِ .»

أفْحَمَ پاريس ، وَعَجَزَ عَنِ الكَلامِ ، لأنَّهُ يُدْرِكُ أنَّهُ هُوَ سَبَبُ ما حَلَّ بِطُرْوادَةَ مِنْ نَكَباتِ الحَرْبِ وَ وَيْلاتِها . وَمَعَ ذَلِكَ يُكابِرُ وَ يُعانِدُ، وَيُعْمِيهِ حِرْصُهُ عَلى هيليني الفاتِنَةِ عَمّا يَنْتَظِرُ مَدينَتَهُ مِنْ دَمارٍ وَفَناءٍ .

* * *

خَفَّ ميمنون النَّبيلُ لِنَجْدَةِ صَديقِهِ پرياموس ، عَلى الرَّغْمِ مِنْ طولِ الطَّريقِ ، وَبَعْدِ الشُّقَّةِ . وما إنْ وَصَلَ يَقودُ جَيْشًا كَثيفًا حَتّى تَلَقّاهُ الطُّرْوادِيّونَ بِالتَّرْحابِ .

أما پرياموس فَقَدْ غَمَرَتْهُ السَّعادَةُ وَالفَخْرُ بِصَديقِهِ الَّذي تَحَمَّلَ وُعورَةَ الطَّريقِ ، وَجاءَ إِلَيْهِ يَشُدُّ أَزْرَهُ في مِحْنَتِهِ ، كَما راقَتْهُ كَثيراً حُلَّتُهُ الحَرْبِيَّةُ المُتَوَهِّجَةُ الَّتي تُضارِعُ حُلَّةَ أحيليوس لَمَعاناً وَتَوَهُّجاً .

قادَ ميمنون جَيْشَهُ وَمَعَهُ الطُّرْوادِيّونَ في اليَوْمِ التّالي لِمُلاقاةِ الإغْريقِ ، وَدارَتْ مَعْرَكَةٌ حامِيَةٌ بَيْنَ الفَريقَيْنِ : أَلْقَى كُلٌّ مِنْهُما بِكامِلِ ثِقْلِهِ فيها . وَتَدافَعَ الجَيْشانِ كَأَنَّهُما أَمْواجُ البَحْرِ الهادِرَةُ ، وَراحَتِ الأَرْضُ تَهْتَزُّ تَحْتَ أَقْدامِهِما ، وَصَليلُ السُّيوفِ وَقَعْقَعَةُ الرِّماحِ تَمْلأُ الجَوَّ ، وَالغُبارُ المُتَناثِرُ مِنْ وَقْعِ الأَقْدامِ يَبْلُغَ عَنانَ السَّماءِ ، وَيُشَكِّلُ عَمامَةً كَبيرَةً تَكادُ تَحْجُبُ ضَوْءَ النَّهارِ .

شَنَّ پاريس هُجوماً عَنيفاً عَلى الجَناحِ الأَيْمَنِ مِنْ جَيْشِ الإغْريقِ ، وَسَرْعانَ ما ظَفِرَ الطُّرْوادِيّونَ بِقَتْلِ نَبيلَيْنِ وَعَدَدٍ آخَرَ مِنَ الإغْريقِ ، في حينَ رَكَّزَ ميمنون هُجومَهُ عَلى الجَناحِ الأَيْسَرِ مِنْ رِجالِ پيليوس وَكادَ يَقْضي عَلى الرَّجُلِ العَجوزِ نسطور ، لَوْلا أَنْ تَقَدَّمَ ابْنُهُ أنتيلوخوس لِيَكونَ دِرْعاً واقِيَةً لأَبيهِ ، فَاخْتَرَقَ الرُّمْحُ قَلْبَ الشّابِّ ، وَقَضى عَلَيْهِ .

وَبِقَلْبٍ مَشْحونٍ بِالأَلَمِ وَالغَضَبِ انْدَفَعَ نسطور يُهاجِمُ المَلِكَ ميمنون ، وَأَوْشَكَ هَذا الاِنْدِفاعُ أَنْ يُفْقِدَهُ حَياتَهُ ، غَيْرَ أَنَّ ميمنون

صاحَ فيهِ ، طالِباً مِنْهُ أَنْ يَقِفَ بَعيداً ، فَهُوَ لَنْ يُقاتِلَهُ تَقْديراً لِصَداقَتِهِ.

اِعْتَمَّ نسطور ، وَذَهَبَ يَبْحَثُ عَنْ أخيليوس ، يَرْجوهُ أَنْ يُقاتِلَ ميمنون ؛ كَيْ يَشْفِيَ غَليلَهُ ، وَيُطْفِئَ ظَمَأَهُ إلى الانْتِقامِ لابْنِهِ .

اِلْتَقى أخيليوس وميمنون ، وَنَشَبَ بَيْنَهُما عِراكٌ عَنيفٌ . وَكانا يَرْتَدِيانِ الحُلَّتَيْنِ البَرّاقَتَيْنِ المُتَوَهِّجَتَيْنِ ، وَكانَتْ مَناكِبُهُما أَعْلى مِنْ مَناكِبِ جَميعِ الجُنودِ ، يَتَقاتَلانِ في شَجاعَةٍ فائِقَةٍ ، لا يُبالِيانِ بِالمَوْتِ الَّذي يَتَرَبَّصُ بِهِما ، حَتّى إِنَّ الآلِهَةَ كُلَّها وَقَفَتْ تَرْقُبُ المَعْرَكَةَ ، فَقَدْ كانَ كُلٌّ مِنَ الرَّجُلَيْنِ سَليلَ الآلِهَةِ ، وَابْناً لإِحْدى الرَّبّاتِ .

بَعْدَ تَطاحُنٍ عَنيفٍ لَمْ يُكْتَبْ فيهِ الفَوْزُ لأَحَدِ البَطَلَيْنِ ، أَرادَ زيوس أَنْ يَحْسِمَ الصِّراعَ الدّائِرَ بَيْنَهُما ، فَرَفَعَ كِفَّتَي الميزانِ ، فَشالَتْ كِفَّةُ أخيليوس ، وَهَبَطَتْ كِفَّةُ ميمنون مُثْقَلَةً بِمَوْتِهِ . وَحينَئِذٍ اسْتَطاعَ أخيليوس أَنْ يُسَدِّدَ لَهُ ضَرْبَةً ، اخْتَرَقَتْ صَدْرَهُ ، فَسَقَطَ مُصَرَّجاً بِدِمائِهِ ، وَسَرْعانَ ما ذَهَبَتْ روحُهُ إلى العالَمِ السُّفْلِيِّ الرَّهيبِ .

كانَ مَصْرَعُ ميمنون فَأْلَ سوءٍ لِلأَثيوبِيّينَ ، وَنَذيرَ شُؤْمٍ لِلطُّرْوادِيّينَ ، فَما إِنْ رَأَوْهُ يَجِرُّ صَريعاً حَتّى دَبَّ الذُّعْرُ في صُفوفِهِمْ ، وَ وَلَّوْا هارِبينَ نَحْوَ أَسْوارِ طُرْوادة ، وَأخيليوس يَتَعَقَّبُ فُلولَهُمُ المُوَلِّيَةَ الأَدْبارِ ،

يَحْدوهُ أَمَلٌ في أَنْ يَفْتَحَ ثُغْرَةً في أَبْوابِ المَدينَةِ يَنْفُذُ مِنْها الإغْريقُ ، وَيَسْتَوْلونَ عَلَيْها . وَلَكِنَّهُ ما إنْ بَلَغَ أَبْوابَ المَدينَةِ حَتّى رَماهُ پاريس بِسَهْمٍ ، فَأَصابَهُ – لِسوءِ الحَظِّ – في عَقِبِ ساقِهِ اليُمْنى . وَهِيَ نُقْطَةُ الضَّعْفِ الوَحيدَةُ في جَسَدِ أخيليوس ، الَّتي يَتَسَنّى لأيِّ سِلاحٍ بَشَرِيٍّ أَنْ يَنْفُذَ مِنْها ، وَيُصيبَ منه مَقْتَلاً .

سَقَطَ أخيليوس العَظيمُ صَريعًا ، وَبِذَلِكَ تَحَقَّقَتْ نُبوءَةُ هِكتور ، وَهُوَ يُعالِجُ سَكَراتِ المَوْتِ .

عَمَّتِ الفَرْحَةُ الطّاغِيَةُ فُلولَ الطُّرْوادِيِّينَ المُنْهَزِمَةَ ، وعاوَدَتْهُمُ

الثِّقَةُ في أَنْفُسِهِمْ بَعْدَ مَصْرَعِ أخيليوس ، وَرَجَعوا يُحاوِلُونَ الاِسْتِحْواذَ عَلى جُثَّةِ أخيليوس العَظيمِ ، لَكِنَّ أياس العَظيمَ ثَبَتَ لا يَتَزَحْزَحُ ، يَعْتَرِضُ بِدِرْعِهِ القَوِيَّةِ العَريضَةِ طَريقَ الإغْريقِ ، وَيَحولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ نُبوغِ جُثَّةِ أخيليوس . بَيْنَما راحَ أوديسيوس يُقاتِلُ دونَهُ بِشَجاعَةٍ فائِقَةٍ ، حَتّى اسْتَطاعَ في حِمايَةِ دِرْعِ أياس أَنْ يَحْمِلَ الجُثَّةَ فَوْقَ مَنْكِبَيْهِ العَريضَيْنِ ، وَيَعودَ بِها إلى مُعَسْكَرِ الإغْريقِ .

حَزِنَ الإغْريقُ عَلى مَقْتَلِ أخيليوس كَما لَمْ يَحْزَنوا مِنْ قَبْلُ قَطُّ ، وَشَرَعوا يُعِدّونَ العُدَّةَ لِتَكْريمِهِ ، فَتَعاوَنَ الجَيْشُ كُلُّهُ في نَصْبِ كَوْمَةِ حَطَبٍ جَنائِزِيَّةٍ ضَخْمَةٍ ، وَجاءَتْ ثيتيس نَفْسُها إلى المُعَسْكَرِ ؛ لِتَنْدُبَ وَلَدَها ، الَّذي لَقِيَ حَتْفَهُ ، وَهُوَ في مَيْعَةِ الصِّبا وَرَيْعانِ الشَّباب . لَقَدْ كانَتْ تَعْلَمُ أَنَّ هَذا هُوَ قَدَرُهُ المَحْتومُ ، وَمَعَ ذَلِكَ بَكَتْهُ بُكاءً حارًّا ، وَكانَتْ مَعَها پريسايس تَذْرِفُ الدُّموعَ ، وَتَبْكي في نَحيبٍ مُتَّصِلٍ .

وَ وَضَعَ المورميدونيون جُثَّةَ أخيليوس العَظيمِ فَوْقَ كَوْمَةِ الحَطَبِ الجَائِزِيَّةِ ، وَأَشْعَلوا النِّيرانَ ، وَراحوا يُطْعِمونَها كُلَّ عالٍ لَدَيْهِمْ ونَفيسٍ ، إعْلانًا عَمّا يَعْتَلِجُ في صُدورِهِمْ مِنْ حُبٍّ وَتَعْظيمٍ لمليكِهِمْ . وَبَعْدَ أَنْ خَمَدَتِ النّارُ جَمَعوا رَمادَ جُثَّتِهِ ، وَأَوْدَعوهُ الثَّرى عِنْدَ شاطِئِ النَّهْرِ .

الفصل العاشر

حِصانُ طُرْوادَة

أصْبَحَ أوديسيوس ضائِقَ الصَّدْرِ ؛ فَخَرَجَ هائِماً عَلى وَجْهِهِ ، يَتَجَوَّلُ عَلى شاطِئِ البَحْرِ ، عَلَّ نَسيمَ الصَّباحِ الباكِرِ يُفَرِّجُ مِنْ أساهُ . وَلَكِنَّ الأفكارَ القاتِمَةَ ظَلَّتْ تَتَقاذَفُهُ كَالأمْواجِ المُتَلاطِمَةِ : « إلى مَتَى نَظَلُّ في هَذا المَوْقِفِ الأليمِ ؟ ماذا تَكونُ نِهايَتُهُ ؟ كَيْفَ تكونُ ؟ لَقَدْ وَضَعَتْنا الآلِهَةُ في مَأزِقٍ حَطيرٍ ، أ ما مِنْ سَبيلٍ لاِنْتِشالِنا مِنْ هَذِهِ الوَهْدَةِ ؟»

وَبَيْنَما تَنْتابُهُ هَذِهِ الأفْكارُ القاتِمَةُ ، إذا بِرَجُلٍ يَطَّلِعُ عَلَيْهِ ، تَبْدو عَلَيْهِ آثارُ السَّفَرِ وَالغُرْبَةِ ، وَتَلوحُ عَلى وَجْهِهِ مَخايِلُ النُّبْلِ وَالذَّكاءِ ، وَتوحي نَظَراتُ عَيْنَيْهِ بِالحِكْمَةِ وَالدَّهاءِ .

قالَ لَهُ الرَّجُلُ الغَريبُ دونَ أنْ يُعَرِّفَهُ بِنَفْسِهِ أوْ يَتَعَرَّفَ بِهِ : « يا وَلَدي ، إنَّ هُناكَ سُوءَةً قَديمَةً تَقولُ : إنَّ طُرْوادَةَ لَنْ تُقْتَحَمَ

أسْوارُها ، ما دامَ تِمْثالُ الرَّبَّةِ أثينة يَرْبِضُ هُناكَ في مَعْبَدِها !»

فَلَما حَنَّ الظَّلامُ كانَتْ هُناكَ فِكْرَةٌ قَدْ تَمَتْ في ذِهْنِ أوديسيوس ، هِيَ أنْ يُحاوِلَ سَرِقَةَ تِمْثالِ أثينة ، عَلى الرَّغْمِ مِمّا يَحُفُّ بِهَذِهِ المُحاوَلَةِ مِنْ خَطَرٍ ؛ إذْ كانَ المَعْبَدُ الَّذي يُقيمُ فيهِ التِّمْثالُ في قَلْبِ طُرْوادَة . وَتَزيّا أوديسيوس بِزِيِّ شَحّادٍ ، وَأخْفَى تَحْتَ أسْمالِهِ سَيْفاً بَتّاراً ، وَاصْطَحَبَ مَعَهُ ديوميديس ، وَاتَّجَها صَوْبَ طُرْوادَة .

وَبَلَغا المَدينَةَ ، فَاخْتَبَأ ديوميديس في مَكانٍ أمينٍ ، وَصَعِدَ أوديسيوس إلى أبْوابِ المَدينَةِ يَسْتَحْدي الطَّعامَ وَالنُّقودَ . وَكانَ مُتْقِناً لِدَوْرِ الشَّحّاذِ ، في حَرَكَتِهِ وَلَهْجَتِهِ ، حَتّى إنَّ الحارِسَ لَمْ يَجِدْ أدْنى رِيبَةٍ فيهِ ، فَسَمَحَ لَهُ بِالدُّخولِ لِيَلْتَقِطَ رِزْقَهُ مِمّا في أيْدي النّاسِ .

وَلَمْ يَجِدْ أوديسيوس مَشَقَّةً في اخْتِراقِ طُرُقاتِ طُرْوادَة ؛ فَقَدْ كانَ يَأْلَفُ مَداخِلَها وَمَخارِجَها . وَسَرْعانَ ما بَلَغَ المَعْبَدَ ، وَهُوَ يَسْأَلُ المارَّةَ أنْ يُعْطوهُ مِمّا أفاءَتْهُ الآلِهَةُ عَلَيْهِمْ مِنْ خَيْراتٍ . وَلَمْ يُخْطِئْ أيَّ خَطَأً يَفْضَحُ سُلوكَهُ ، وَلَمْ يَكْتَشِفْ أحَدٌ أمْرَهُ مِنَ الطُّرْوادِيِّينَ ، غَيْرَ أنَّ المُفاجَأةَ كانَتْ تَتَرَصَّدُهُ قُرْبَ المَعْبَدِ ، فَقَدْ فوجِئَ بِهيليني تُغادِرُهُ إلى بَيْتِها بَعْدَ أنْ صَلَّتْ لِلرَّبَّةِ أثينة ، وَلَمْ يَكُنْ أوديسيوس بِالَّذي تَخْفى مَلامِحُهُ عَلَيْها ، مَهْما أمْعَنَ في التَّنَكُّرِ ، وَأغْرَقَ في

التَّحَفّي .

وَأَدْرَكَتْ ما يُحْدِقُ بِهِ مِنْ خَطَرٍ ؛ فَاقْتادَتْهُ إلى بَيْتِها ، وَأَوْصَدَتْ بابَهُ ، وَقالَتْ لَهُ :

« يا لَها مِنْ خُطَّةٍ تَقومُ عَلى المُخاطَرَةِ ! كَيْفَ سَوَّلَتْ لَكَ نَفْسُكَ أَنْ تَلِجَ طُرْوادَةَ وَلا رَفيقَ ولا مُعينَ ؟ أَ مَا زالَ الإغْريقَ يَحْلُمونَ بِاقْتِحامِ طُرْوادة وَالاِسْتيلاءِ عَلَيْها ؟ تُرى هَلْ سَيَقْتُلُني مينيلاوس إذا تَحَقَّقَ حُلْمُ الإغْريقِ ، وَاقْتَحَموا المَدينَةَ ، أَمْ سَيَكْفيهِ أَنْ يَأْخُذَني إلى إسبرطة ؟ لَوْ كانَ قاتِلي فَمِنَ الخَيْرِ لي أَنْ أَموتَ في طُرْوادَةَ . كَمْ أَنا نادِمَةٌ عَلى ما وَقَعَ مِنّي ! لَقَدْ تَسَرَّعْتُ وَضَعُفْتُ أَمامَ إغْراءِ پاريس وَمَعْسولِ كَلِماتِهِ ، وَلَمْ أُقَدِّرْ عَواقِبَ صَنيعي . يا لَيْتَني بَقيتُ هُناكَ في إسرطة ، أَعيشُ حَياةً هادِئَةً ، وَلَمْ أَجُرَّ عَلى قَوْمي وَعَلى الطُّرْوادِيِّينَ كُلَّ ما يُلاقونَهُ مِنْ وَيْلاتٍ .» ثُمَّ انْخَرَطَتْ في بُكاءٍ حارٍّ ، وَنَحيبٍ مُتَّصِلٍ .

وَهَدَّأَ أوديسيوس مِنْ رَوْعِها ، وَقالَ لَها : « إنَّ الإغْريقَ لَنْ يَسْتَطيعوا اقْتِحامَ طُرْوادَةَ ، وَالاِسْتيلاءَ عَلَيْها ، ما دامَ تِمْثالُ الرَّبَّةِ أثينة قائِماً في مَعْبَدِها . هٰكَذا تَقولُ النُّبوءَةُ . وَقَدْ جِئْتُ وَصَديقي ديوميديس – الَّذي يَنْتَظِرُني خارِجَ الأَسْوارِ في مَخْبَأٍ أَمينٍ – نُحاوِلُ

سَرِقَةَ التِّمْثالِ ، وَلَنْ يُرْهِقَنا التَّغَلُّبُ عَلى الحُرّاسِ لَوْ حاوَلْتِ مُساعَدَتَنا .»

وَانْفَرَجَتْ شَفَتا هيليني عَنِ ابْتِسامَةٍ مُبَلَّلَةٍ بِالدُّموعِ ، فَبَدَتْ في عَيْنَيْ أوديسيوس مُتَأَلِّقَةً كَما لَمْ تَتَأَلَّقْ مِنْ قَبْلُ قَطُّ ؛ بَلْ إِنَّها اكْتَسَتْ ثَوْبًا مِنَ الجَمالِ وَالفِتْنَةِ أَرْوَعَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى . لَقَدْ كانَ جَمالُها مِنْ ذَلِكَ الجَمالِ الحَلابِ ، الَّذي يَنْدُرُ أَنْ يَتَأَثَّرَ بِمُرورِ الزَّمَنِ ، وَيَزيدُهُ الحُزْنُ تَأَلُّقًا وَازْدِهارًا .

وَتَرَوَّتْ هيليني في الأَمْرِ ، ثُمَّ ما لَبِثَتْ أَنْ قالَتْ :

« إِذا اسْتَوْلى الإِغْريقُ عَلى طُرْوادَةَ فَمَنْ ذا الَّذي يَحْكي لَهُمْ ما فَعَلْتُ ؟ أَيْ أوديسيوس ، إِنَّني إِغْريقِيَّةٌ مِثْلُكَ ، وَسَأَعْمَلُ عَلى مُعاوَنَتِكَ في مُهِمَّتِكَ . هَيّا ، تَعالَ مَعي لأُرِيَكَ كَيْفَ تَنْفُذُ إِلى المَعْبَدِ ، ثُمَّ إِلى الخارِجِ .»

وَقادَتْ هيليني أوديسيوس في طُرُقاتِ المَدينَةِ ، حَتّى بَلَغَتْ بابًا صَغيرًا ، بَرَزَ عِنْدَهُ ديوميديس ، ثُمَّ عادَتْ بِهِما إِلى المَعْبَدِ ، وَقَفَلَتْ راجِعَةً إِلى بَيْتِها ، كَأَنَّها لَمْ تَصْنَعْ شَيْئًا .

وَلَمْ يَجِدِ الرَّجُلانِ مَشَقَّةً في قَتْلِ الحارِسِ ، ثُمَّ دَخَلا إِلى المَعْبَدِ،

فَلَمْ تُصادِفْهُما صُعوبَةٌ في الاسْتيلاءِ عَلَى التِّمْثالِ . وَانْطَلَقا بِهِ في شَوارِعِ المَدينَةِ الحاوِيَةِ السّاكِنَةِ في هَدْأَةِ اللَّيْلِ ، حَتّى بَلَغا ذَلِكَ البابَ الصَّغيرَ ، فَعَبَرا مِنْهُ إِلى الفَضاءِ الفَسيحِ ، يُهَرْوِلانِ نَحْوَ المُعَسْكَرِ الإِغْريقِيِّ ؛ لِيَضَعا تِمْثالَ الرَّبَّةِ أثينة بَيْنَ أَرْجائِهِ ، بُرْهانًا عَلى دِقَّةِ الخُطَّةِ ، وَمَهارَةِ التَّنْفيذِ .

وَظَنَّ الإِغْريقُ عِنْدَئِذٍ أَنَّ طُرْوادَةَ باتَتْ وَشيكَةَ الوُقوعِ في أَيْديهِمْ ، فَقَدْ صَنَعوا ما أَوْحَتْ بِهِ النُّبوءَةُ ، وَلَكِنَّهُمْ كُلَّما حاوَلوا اقْتِحامَ أَسْوارِها صَدَّهُمُ الطُّرْوادِيُّونَ عَلى أَعْقابِهِمْ مَدْحورينَ مَخْذولينَ

رَأَى الحَكيمُ كالحاس أَنَّ القُوَّةَ لَيْسَتِ الوَسيلَةَ المُثْلى لِلاسْتيلاءِ عَلى طُرْوادَةَ ، وَأَنَّ الحيلَةَ قَدْ تَكونُ أَجْدى مِنَ القُوَّةِ . فَعَلَيْهِمْ أَنْ يُفَكِّروا في حيلَةٍ ذَكِيَّةٍ ماهِرَةٍ لِلإيقاعِ بِالطُّرْوادِيِّينَ ، وَاقْتِحامِ طُرْوادَةَ .

وَأَعْمَلَ أوديسيوس فِكْرَهُ ، فَتَفَتَّقَ عَنْ خُطَّةٍ ماكِرَةٍ . وَقالَ يَشْرَحُ خُطَّتَهُ :

« هَيّا بِنا نَصْنَعْ مِنَ الخَشَبِ المَتينِ حِصانًا ضَخْمًا ، يَتَّسِعُ جَوْفُهُ لِجَميعِ أَبْطالِنا ، وَعَلى الباقينَ مِنَ الإِغْريقِ أَنْ يُشْعِلوا النّارَ في

الحيامِ ، وَأَنْ يُبْحِرُوا بِالسُّفُنِ ، حَتَّى يَظُنَّ مَنْ يَراهُمْ أَنَّ الإغْرِيقَ قَدْ آثَروا العَوْدَةَ إلى بِلادِهِمْ . وَلا يَتَخَلَّفُ مِنّا إلّا رَجُلٌ واحِدٌ يَكونُ غَيْرَ مَألوفِ الوَجْهِ لِلطُّرْوادِيِّينَ ، وَلْنُوثِقْ يَدَيْهِ وَراءَ ظَهْرِهِ ، وَلْنُلَطِّخْ وَجْهَهُ بِالقاذُوراتِ وَالدِّماءِ ، حَتَّى يَقَعَ في وَهْمِ مَنْ يَراهُ أَنَّهُ غَريبٌ عَنّا ، وَأَنَّهُ قَدْ لَقِيَ مِنْ سوءِ مُعامَلَتِنا ما تَظْهَرُ آثارُهُ عَلَيْهِ

« وَأَعْتَقِدُ أَنَّ الطُّرْوادِيِّينَ سَيُسارِعونَ إلى الخُروجِ مِنْ حُصونِهِمْ فَوْرَ رُؤْيَتِهِمُ الخِيامَ تَنْدَلِعُ فيها النِّيرانُ ، وَالسُّفُنَ تَمْخَرُ عُبابَ البَحْرِ ، وَذَلِكَ لِيُلْقوا نَظْرَةً عَلى مُخَلَّفاتِ المُعَسْكَرِ الإغْرِيقِيِّ ، وَلِيَسْعَدوا بِفَوْزِهِمْ وَقَهْرِهِمُ الإغْرِيقَ . وَسَيَروعُهُمْ أَنْ يَجِدوا الحِصانَ الخَشَبِيَّ الضَّخْمَ الكَبيرَ واقِفاً وَهُنا يَتَقَدَّمُ مِنْهُمْ هَذا الرَّجُلُ الغَريبُ الوَجْهِ ؛ لِيُنْبِئَهُمْ بِأَنَّ الإغْريقَ صَنَعوا هَذا الحِصانَ قُرْباناً لِلرَّبَّةِ أثينة ، وَتَكْفيراً عَنْ خَطيئَتِهِمْ بِسَرِقَةِ تِمْثالِها مِنَ المَعْبَدِ . وَيَحْكي لَهُمْ عَمّا قاساهُ هُوَ مِنَ الإغْريقِ ، وَمُحاوَلَتِهِمْ أَنْ يُقَدِّموهُ ذَبيحَةً لِلرَّبَّةِ أثينة ، لَوْلا أَنْ نَجا مِنْهُمْ بِأُعْجوبَةٍ !

« لَوْ أَنَّ هَذا الرَّجُلَ الغَريبَ الوَجْهِ نَجَحَ في تَمْثيلِ دَوْرِهِ بِإتْقانٍ وَبَراعَةٍ ، فَمِمّا لا شَكَّ فيهِ أَنَّ الطُّرْوادِيِّينَ سَيَبْتَلِعونَ الطُّعْمَ ، وَسَيَسْعَدونَ بِما خَلَّفَهُ الإغْريقُ تَعْويضاً لِلرَّبَّةِ أثينة عَنْ تِمْثالِها المَسْروقِ ، وَسَيَعْمَدونَ إلى جَرِّ الحِصانِ الخَشَبِيِّ لِيُدْخِلوهُ المَدينَةَ ،

وَسَيَجِدونَهُ ضَخْماً لا تَتَّسِعُ لَهُ الأبْوابُ . وَلأَنَّهُمْ أَمِنوا شَرَّ الإغْريقِ سَيُحَطِّمونَ جانِباً مِنَ الأسْوارِ ، يَتَّسِعُ لإدْخالِ الحِصانِ .

« وَما إنْ يَلِجِ الحِصانُ المَدينَةَ ، وَيَسْتَقِرَّ أَمامَ مَعْبَدِها ، حَتَّى يَعْمَدَ غَريبُنا الجاسوسُ إلى إحْدى القِمَمِ العالِيَةِ ، فَيُشْعِلَ ناراً عالِيَةً ، تَكونُ رِسالَةً مُوَجَّهَةً إلى سُفُنِنا ، حَيْثُ يَنْبَغي لَها أَنْ تَعودَ إلى الشّاطِئِ بِأَقْصى ما يُتاحُ لَها مِنْ سُرْعَةٍ ، ثُمَّ يَعودُ الغَريبُ إلى الحِصانِ ، فَيَفْتَحُ أَبْوابَهُ ، وَيُخْرِجُ الأبْطالَ المُخْتَبِئينَ في جَوْفِهِ ؛ فَإذا ما وَطِئَتْ أَقْدامُ العائِدينَ اليابِسَةَ انْطَلَقوا مُسْرِعينَ إلى دُخولِ المَدينَةِ، وَتَلاقَوْا مَعَ أَبْطالِهِمْ في الدّاخِلِ . وَبِذا تَسْقُطُ طُرْوادَةُ في أَيْدينا .»

وَقَعَتْ خُطَّةُ أوديسيوس مِنْ نُفوسِ الإغْريقِ مَوْقِعاً حَسَناً ، فَتَسارَعوا إلى تَنْفيذِها ، وَفي نُفوسِهِمْ تَوَقٌ عارِمٌ إلى النَّصْرِ ، والعَوْدَةِ إلى أَوْطانِهِمْ . وَعَهِدوا إلى إپيوس لِيَتَوَلّى صُنْعَ الحِصانِ ، فَما يَعْرِفُ الجَيْشُ الإغْريقِيُّ صانِعاً أَمْهَرَ مِنْهُ . وَأَمَرَ أعاظِمُ الرِّجالِ بِقَطْعِ الأخْشابِ مِنْ جَبَلِ إيدا ، وَ وَضْعِها تَحْتَ تَصَرُّفِ الصّانِعِ وَمَنْ يُعاوِنونَهُ . وَراحَ الإغْريقُ يَعْمَلونَ في جِدٍّ وَمُثابَرَةٍ تَحْتَ إمْرَةِ إپيوس حَتَّى أَنْجَزوا مُهِمَّتَهُمْ ، فَبَدا الحِصانُ بِرَأْسِهِ المُتْقَنِ ، وَجِسْمِهِ المُحْكَمِ ، وَذَيْلِهِ ذي الشَّعْرِ المُرْسَلِ ، كَأَنَّهُ حِصانٌ حَقيقِيٌّ تَكادُ تَدِبُّ

في أَوْصالِهِ الحَياةُ .

وَما إِنْ تَمَّ صُنْعُ الحِصانِ الخَشَبِيِّ حَتّى وَقَفَ أُوديسيوس بَيْنَ الإِغْريقِ قائِلاً : « إِنَّ عَلَيْنا أَنْ نَقومَ الآنَ بِعَمَلٍ باهِرٍ ، وَعَلى كُلٍّ مِنّا أَنْ يَبْذُلَ جُهْدَهُ لِيَكونَ الأَقْوَى وَالأَشَدَّ . أَصْدِقائي ، إِنَّ عَلَيْنا أَنْ نَحْتَبِئَ في جَوْفِ الحِصانِ ، وَنَحْنُ عَلى يَقينٍ مِنْ إِحْدَى اثْنَتَيْنِ : أَنْ تَنْجَحَ خُطَّتُنا ، وَتَخْدَعَ الطُّرْوادِيّين حيلَتُنا ، فَنَفوزَ بِطُرْوادَة ، أَوْ أَنْ يَكونَ الطُّرْوادِيُّونَ أَشَدَّ مِنّا مَكْرًا ، فَيَكْتَشِفوا حيلَتَنا ، وَحينَئِذٍ لا مَناصَ لَنا مِنَ المَوْتِ ! وَمَتى ضَمَّا جَوْفُ الحِصانِ فَعَلى الآخَرينَ أَنْ يُسارِعوا بِالإِبْحارِ وَفْقَ الخُطَّةِ الَّتي اتَّفَقْنا عَلَيْها إِلى جَزيرَةِ تنيدوس ، وَيَنْتَظِروا هُناكَ الإِشارَةَ ، الَّتي إِذا انْبَعَثَتْ سارَعوا إِلى الحُضورِ . وَلا يَبْقَى هُنا إِلا واحِدٌ مِنّا غَريبٌ عَلى الطُّرْوادِيّينَ وَجْهُهُ ؛ لِكَيْ يَقُصَّ عَلَيْهِمْ تِلْكَ القِصَّةَ الَّتي اخْتَرَعْناها ، حَتّى يُضَلِّلَهُمْ عَنْ خُطَّتِنا الماحِقَةِ . »

وَعِنْدَئِذٍ نَهَضَ فَتًى يُدْعى سيسون ، يُعْلِنُ أَنَّهُ يَرْغَبُ في أَنْ يَكونَ ذَلِكَ الرَّجُلَ ، لأَنَّهُ تَتَحَقَّقُ فيهِ كُلُّ الصِّفاتِ المَرْغوبَةِ ، فَالطُّرْوادِيُّونَ لا يَعْرِفونَهُ ؛ إِذْ لَمْ يَسْبِقْ لَهُمْ أَنْ رَأَوْهُ ، وَهُوَ يَأْمُلُ في أَنْ تَرْعاهُ الآلِهَةُ ، وَتُسَدِّدَ خُطُواتِهِ ، وَتُوَفِّقَهُ في عَرْضِ القِصَّةِ عَرْضًا طَيِّبًا .

وَتَعَجَّبَ الجَيْشُ كُلُّهُ مِنْ هَذِهِ الجُرْأَةِ الَّتي دَفَعَتِ الفَتى إِلى هَذا

المَوْقِفِ ، فَما سَبَقَ لَهُ أنْ أبْدَى شَجاعَةً ، أوْ أظْهَرَ تَميُّزاً ؛ وَمَعَ ذَلِكَ أتاحوا لَهُ الْفُرْصَةَ ، وَراحوا يُعدّونَهُ لِيَقومَ بِدَوْرِهِ . وَبَيْنَما هُمْ يوثِقونَهُ بِالحِبالِ ، وَيُلَطِّخونَ وَجْهَهُ بِالأقْذارِ . صَعِدَ الأبْطالُ إلى جَوْفِ الحِصانِ وتكاثَروا حَتّى لم يَعُدْ في جَوْفِ الحِصانِ مُتَّسَعٌ لأحَدٍ ، وَكانَ آخِرُهُمْ صُعوداً إيبوس صانِعَهُ ؛ لأنَّهُ أكْثَرُهُمْ خِبرةً وَدِرايَةً بِإغْلاقِ البابِ الّذي دَلَفُوا مِنْهُ إلى جَوْفِ الحِصانِ ، وَبِفَتْحِهِ حِينَما يُتاحُ لَهُمْ ذَلِكَ . وَلَما تَمَّ إغْلاقُ بابِ الحِصانِ سارَعَ الباقونَ مِنَ الإغْريقِ يَحْرِقونَ المُعَسْكَرَ ، وَ يُبْحِرونَ بِالسُفنِ غَرْبًا .

أضاءَتِ النّيرانُ الّتي أشْعَلَها الإغْريقُ لَيْلَ طُرْوادَةَ ، فَاسْتَشْرَفَ أهْلُها مِنْ فَوْقِ قِلاعِهِمْ يَنْظُرونَ ، فَلَمّا شاهَدوا خِيامَ الإغْريقِ تُحْرَقُ ، وَسُفُنَهُمْ تُبْحِرُ – انْطَلَقوا إلى خارِجِ الأسْوارِ مُسْرِعينَ ، يَرْقُصونَ وَيُهَلِّلونَ ، وَكَأنَّهُمْ في يَوْمِ عيدٍ ! وَاغْتَنَمَ الفَتَى الفُرْصَةَ : فُرْصَةَ زَهْوِهِمْ بِنَصْرِهِمْ ، وَنَشْوَتِهِمْ بِفَوْزِهِمْ ، وَراحَ يَقُصُّ عَلَيْهِمْ في أداءٍ بارِعٍ – تِلْكَ القِصَّةَ المُخادِعَةَ المُضَلِّلَةَ – قِصَّةَ الحِصانِ وَقِصَّتُهُ هُوَ ، وَكِلْتاهُما مُلَفَّقَتانِ تَلْفيقاً مُحْكَماً .

وَلَمْ يَجِدْ عَناءً في أنْ يُصَدِّقَ الطُّرْوادِيُّونَ ما رَواهُ ، فَقَدْ أعانَتْهُ نَشْوَةُ النَّصْرِ ، التي أخْمَدَتِ الفِكْرَ ، عَلى ما يُريدُ . وَما لَهُمْ لا يُصَدِّقونَ وَهُمْ يَرَوْنَ – بِعُيونِهِمْ – العَدُوَّ مَخْذولاً ، وَيَقِفونَ في

مُعَسْكَرِهِ – الذي كانَ – فَلا يَجِدونَ مِنْهُ بَقِيَّةً غَيْرَ هَذا الحِصانِ ، الذي خَلَّفَهُ قُرْباناً لِلرَّبَّةِ أثينة .

لَقَدْ قَرَّرَ الطُّرْوادِيُّونَ أنْ يَحْمِلوهُ إلى مَعْبَدِها ، وَلَكِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ ضَخْمَ الجِسْمِ ، كَبيرَ الحَجْمِ ، لا يَتَّسِعُ لَهُ أيُّ بابٍ مِنْ أبْوابِ المَدينَةِ ، فَلْنَحْطِّمْ جانِباً مِنْ حَوائِطِ السّورِ ؛ كَيْ يُتاحَ لَنا أنْ نَبْلُغَ بِالحِصانِ مَقَرَّهُ ، وَنَشْكُرَ الرَّبَّةَ أثينة التي مَنَحَتْنا الحِمايَةَ وَالرِّعايَةَ .

وَبِذَلِكَ اسْتَكْمَلَ الطُّرْوادِيُّونَ بِأيْدِيهِمْ آخِرَ حَلَقاتِ الكارِثَةِ الّتي كانَتْ تَتَرَصَّدُهُمْ ، وَراحوا يَغُطّونَ في نَوْمٍ عَميقٍ ، تَتَراءَى لَهُمُ الأحْلامُ الدّافِئَةُ العَبِقَةُ بِشَذا النَّصْرِ .

وَلَمْ يُضَيِّعْ سينون وَقْتاً ، بَلْ خَرَجَ يَعْدو إلى بُرْجِ القَلْعَةِ العالي ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ مَنْ يَحْرُسُهُ ؛ فَقَدْ شُغِلَ الحُرّاسُ بِوَلائِمِ النَّصْرِ الّتي عَمَّتِ المَدينَةَ ، وَهُناكَ أشْعَلَ النّارَ عالِيَةً تُبَلِّغُ الإغْريقَ رِسالَتَهُ . ثُمَّ عادَ مُنْطَلِقاً في خِفَّةِ العُصْفورِ إلى حَيْثُ يَقِفُ الحِصانُ الخَشَبِيُّ أمامَ المَعْبَدِ ، فَأسَرَّ إلى القَوْمِ بِضْعَ كَلِماتٍ ، خَرَجوا عَلى إثْرِها مُسْرِعينَ ، يَهْبِطونَ السُّلَّمَ الّذي أعَدَّهُ إيبوس لِذَلِكَ .

هَبَطوا وَكُلٌّ مِنْهُمْ قَدْ شَحَذَ سِلاحَهُ ، وَدَقّاتُ قُلوبِهِمْ تَتَلاحَقُ حَذَراً مِنَ المُفاجآتِ الّتي قَدْ يَكونُ القَدَرُ مُخَبِّئَها لَهُمْ .

انْطَلَقوا إلى أَقْرَبِ البُيوتِ مِنْهُمْ ، يَحْرِقونَها وَيَقْتُلونَ أَصْحابَها ، وَيُثيرونَ الرُّعْبَ وَالفَزَعَ في المَدينَةِ . أَمّا الإغْريقُ الباقونَ فَقَدْ عادوا مُسْرِعينَ عِنْدَما بَلَغَتْهُمْ رِسالَةُ النّارِ المُشْتَعِلَةِ ، وَ وَلِجوا المَدينَةَ مِنْ الفَجْوَةِ التي دَخَلَ مِنْها الحِصانُ ، وَلَمْ تُصادِفْهُمْ أَيَّةُ مُقاوَمَةٍ ؛ فَقَدِ اضْطَرَبَ أَمْرُ المَدينَةِ ، وَسادَها الرُّعْبُ وَالفَزَعُ .

وهَكَذا سَقَطَتْ طُرْوادَةُ الَّتي أَثْمَلَها زَهْوُ النَّصْرِ ، وَنَشْوَةُ الظَّفَرِ .

وانْطَلَقَ مينيلاوس ، وَ أوديسيوس ، في طَريقٍ يَعْرِفانِهِ حَقَّ المَعْرِفَةِ . اِنْطَلَقا إلى بَيْتِ دايفوبوس ، حَيْثُ كانَتْ تَعيشُ هيليني بَعْدَ مَوْتِ باريس . وَحينَما اقْتَحَموا المَنْزِلَ كانَ دايفوبوس نائِماً ، فَاسْتَيْقَظَ عَلى وَقْعِ أَقْدامِهِما ، وَأَدْرَكَ ما يُرادُ بِهِ وبهيليني مِنْ شَرٍّ ؛ فَامْتَشَقَ سَيْفَهُ ، وَراحَ يُقاتِلُ بِكُلِّ ما أُوتِيَ مِنْ قُوَّةٍ وَشَجاعَةٍ ، لَكِنَّ الضَّرَباتِ الَّتي انْهالَتْ عَلَيْهِ مِنْ سَيْفِ مينيلاوس أَرْدَتْهُ قَتيلاً .

أَمّا هيليني فَقَدْ أَذْهَلَتْها المُفاجَأَةُ ، فَطَفِقَتْ تَفِرُّ مِنْ وَجْهِ مينيلاوس يَميناً وَشِمالاً ، وَهِيَ تَصْرُخُ صُراخاً عالِياً ، لَكِنْ لا مُنْقِذَ لَها وَلا مُغيثَ ؛ فَكُلُّ مَنْ في طُرْوادَةَ في شُغْلٍ وَهَمٍّ يُغْنيهِ .

نَظَرَ إِلَيْها مينيلاوس وَالسَّيْفُ في يَدِهِ يَقْطُرُ دَماً ، وَصَدْرُهُ يَتَّقِدُ غَضَباً عَلَيْها ، وَغَيْظاً مِنْها ؛ وَلَكِنْ ..

هُناكَ لَحَظاتٌ قِصارٌ تَتَوَقَّفُ عِنْدَها عَجَلَةُ الزَّمانِ !

لَقَدْ رَآها تَقِفُ هُناكَ – كَطائِرٍ مَذْعورٍ – تَحْتَ الوَهَجِ السّاطِعِ مِنَ المَدينَةِ المُشْتَعِلَةِ ، يَشْتَدُّ وَجيبُ قَلْبِها ، حَتّى لَيَكادُ يَسْمَعُ دَقّاتِهِ ، فَوَقَعَتْ عَيْناهُ مِنْها عَلى الجَمالِ الخالِدِ في أَكْمَلِ صُوَرِهِ ، فَعاوَدَهُ حُبُّهُ الجارِفُ لَها ، وَ وَجْدُهُ لِفِراقِها ، وَحَنينُهُ إِلَيْها ؛ فَلَمْ يَسْتَطِعْ لِهَذا الجَمالِ الخالِدِ مُقاوَمَةً ، وَلا عَلَيْهِ امْتِناعاً .

نَسِيَ ما جَشَّمَتْهُ مِنْ مَتاعِبَ وَأَهْوالٍ ، وَانْزاحَ ما كانَ يَجْثُمُ عَلى صَدْرِهِ مِنْ حِقْدٍ وَرَغْبَةٍ في الانْتِقامِ ، وَامْتَلأَ بِالتَّسامُحِ وَالغُفْرانِ . وَفي غَمْرَةِ هَذِهِ المَشاعِرِ الجَيّاشَةِ مَدَّ إِلَيْها يَدَهُ ، وأَمْسَكَ يَدَها ، وَتَراخَتْ قَبْضَةُ يَدِهِ الأُخْرى عَنْ سَيْفِهِ ، فَسَقَطَ عَلى الأَرْضِ إيذاناً بِانْتِهاءِ عَهْدِ الصِّراعِ ، وَابْتِداءِ عَهْدِ الوِئامِ وَالسَّلامِ .

من الإلياذة لهوميروس

١ – حصار طروادة

من الأوديسيا لهوميروس

١ – مغامرات أوديسيوس

« **الإلياذة** » مَلحمةٌ يونانيَّة كَتَبَها الشَّاعرُ العَظيمُ هوميروس ، وتَقعُ أصلاً في ٢٤ نَشيداً و ١٦ ٠٠٠ بيتٍ . وتَروي أخبارَ حرب طُرْوادة بين الإغريق والطُّروادِيِّين ؛ إذ إنَّ معنى الإلياذة هو « قصَّة طُروادة » . وطُروادة مَدينةٌ موغِلَةٌ في القِدَم ، وكانتْ تَقَعُ في تركيا .

وتتجلّى في « **الإلياذة** » مَعاني البُطولةِ والشَّهامةِ والصَّداقةِ والحُبِّ في أسمى مَعانيه : حُبُّ الأسرة ، وحبُّ الوطن ، وحبُّ الأصدقاء ، وحبُّ المجد والشُّهرة .

وهذه هي أوَّلُ مُحاولةٍ بالعربيَّة لتقديم قِصَّةِ حِصار طُروادة للنَّشْءِ .

مَكتبة لبنان
سَاحَة رِيَاض الصّلح - بَيروت
رقم الكمبيوتر 01 C 198750

ARAB COMICS

عرب كوميكس

www.arabcomics.net

هذا العمل هو لعشاق الكوميكس
و هو لغير أهداف ربحية
و لتوفير المتعة الأدبية فقط
الرجاء حذف هذا العدد بعد قراءته
و ابتياع النسخة الأصلية المرخصة
عند نزولها الأسواق لدعم استمراريتها

This is a Fan base production .
not for sale or ebay, please delete
the file after reading, and buy the
original release when it hits the
market to support its continuity

www.arabcomics.net